

**القتال :  
مشروعية وأدابها في  
الاسلام واليهودية والنصرانية**

د. بكر زكي عوض

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

- جامعة قطر

**القتال : مشروعية وأدابها  
في الإسلام واليهودية والنصرانية  
التعریف بالبحث**

من الشبهات التي تثار في وجه الإسلام من أناس لا يدينون به ، أنه دين السيف وأن المسيحية لا تعرف القتال دون الإشارة إلى موقف اليهودية من ذلك . وكان الرد من علماء المسلمين مرتكزاً على نصوص حرب العقيدة في الإسلام . دون بيان مشرعية القتال وأدابه في الإسلام . ودون دراسة موضوعية لنص الكتاب المقدس بغية إقامة الدليل على مشرعية القتال عند اليهود والنصارى أصحاب تلك الشبهة .

لذلك أعددت هذا البحث الموضوعي لايضاح مشرعية القتال في الإسلام وأدابه وكذلك مشرعنته في اليهودية وأدابه ودليل المشرعنة في النصرانية . والله من وراء القصد

## أولاً : في الاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلوة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد

فإن غاية رسالات الأنبياء والمرسلين تحقيق السعادة والسلام ، عن طريق تعريف الخلق بالحق ورسم منهج العلاقة الصحيحة بين الفرد ونفسه والفرد وغيره من بني آدم بل الفرد وغيره من سائر ما خلق الله مما له من صلة بالانسان على أساس من الحقوق والواجبات والنظرة السواء لبني آدم أجمعين :  
وتقوم رسالات المرسلين على أساس ثلاثة هي :-

العقيدة      الشريعة      الأخلاق

والأساس الأول : يرسم منهج الاعتقاد ويصحح المفاهيم كلما غاب نبي أو درست رسالة أو كان الاعتقاد نتاج التصور العقلي المحسن ، كما يصحح المفاهيم حيال الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

والأساس الثاني : يتجلّى في وضع قواعد لضبط التصرفات الشخصية والجماعية ، فلا إفراط ولا تفريط في كافة صور الالتزام ، وقد تنوع محتواه بين عبادات ومعاملات وأنكحة وحدود وجنبات وفق قواعد كلية فصلتها السنة أو تركت ليستنبط منها عبر الزمن .

والأساس الثالث : هو نتاج الالتزام بالأساسين الأولين وغايتها ، فنصوص القرآن تصرح بأن حسن الاعتقاد مع الالتزام غايتها حسن الأخلاق . كما أن هذا الأساس هو معيار السبق بين البشر في هذه الحياة من المنظور الديني .

وعلى هذه الأساس ثبت الرسل وصفوتهم محمد ﷺ فكان التركيز على التوحيد بدءاً مع الدعوة إلى الإيمان بالنبوة والرسالة مع تصحيح المفاهيم حول الملائكة والكتب واليوم الآخر وذلك في الجانب العقدي .

وأما جانب الشريعة فقد أخذ صبغة التدرج الزمني مع الدعوة إلى القيام ببعض الجوانب على سبيل الندب لا الفرضية وذلك كالدعوة إلى الصلاة قبل فرضيتها<sup>(١)</sup> ، واللحث على الصدقة قبل إيجاب الزكاة<sup>(٢)</sup> ، وصيام يوم عاشوراء قبل فرضية الصوم<sup>(٣)</sup> . . . الخ . وقد استغرق ذلك فترة من الزمن تجاوزت أربع عشرة سنة في بعض الأحيان<sup>(٤)</sup> .

وأما الأخلاق فكانت محل اهتمام منذ بدء الدعوة في كثير من جوانبها .

### موقف أهل مكة من الدعوة الإسلامية

وقد رأى أهل مكة في هذه الدعوة مغایرة لجوانب عدة ومظاهر شتى من معتقداتهم فضلاً عن أثرها السلبي - كما يرون - على عزهم ومجدهم وأنفسهم . . . الخ . فما كان منهم إلا أن رفضوا تلك الدعوة دون تقديم براهين تقنع حين التحليل وإنما لعوامل عدة منها :-

موراثات الآباء وأبرزها عبادة الأوثان والأصنام<sup>(٥)</sup> ، الطبقية الاجتماعية<sup>(٦)</sup> والتي تفاوت بين الأفراد على مستوى الأسر والقبائل وتقسم المجتمع إلى شرائح ، السلطان الديني الذي أكتسبه أهل مكة على الجزيرة العربية بحكم خدمتهم للحرم ، الحساسية المفرطة بين القبائل والتي ترتب عليها عوامل نفسية أدت إلى الرفض حتى لا تفضل قبيلةبني عبد مناف على غيرها من قبائل مكة بما لا سيل

(١) سورة القلم آية ١٠ ، ١٩ والمزمل ٢ ، ٢٠ والمدثر ٣ ، ٤٢ ، ٤ . ٤٣ ، ٤٢ ، ٣ .

(٢) راجع فقه الزكاة د. القرضاوي من ص ٦٨ إلى ٧٥ .

(٣) عن الباري ٤٠٩-٤١٠ .

(٤) فالصيام والزكاة فرضاً في السنة الخامسة عشر للبعثة والحج في العشرين أو الحادية والعشرين منها .

(٥) سورة الزخرف ٢٣ وسورة ص آية ٥ .

(٦) الأنعام آية ٥٢ ، وسورة الكهف ٢٨ ، الأحقاف ١١ .

إليه<sup>(١)</sup> ، طبيعة الرسالة التي تسوى مبادئها بين الأغنياء والفقراء والأحرار والعيّد  
أمام الله<sup>(٢)</sup> .

كل هذه العوامل - وغيرها - أدت إلى إعراض أهل مكة عن قبول الدعوة ، ولو توّقف الأمر عند حد الاعراض لكان الأمر ميسرا ، إلا أن المعرضين تصدّوا للدعوة بالتشكيك فيها وطرح الشبهات حولها ، كما تصدّوا للداعي بوصفه بما ليس فيه فكان الرمي بالسحر<sup>(٣)</sup> والكهانة والاختلاق<sup>(٤)</sup> وأساطير الأولين<sup>(٥)</sup> والنّقل عن الغير<sup>(٦)</sup> ... إلى غير ذلك من صور الإيذاء المعنوي .

كما توجّهوا إلى شخص الرسول ﷺ فآذوه وحاولوا الحيلولة بينه وبين ما يقوم به من دعوة وصلة ولقاءات مع غير المكين وصل الأمر إلى حد الضرب وإلقاء القاذورات والخنق في الصلاة<sup>(٧)</sup> ثم كانت المقاطعة له ولأصحابه وإنجذبهم إلى الشعب من شباب مكة فلما أذن له بالعودـة بعد نقض الصحيفة<sup>(٨)</sup> خرج ﷺ إلى الطائف فلقى من الأذى أشدّ مما لقى من أهل مكة<sup>(٩)</sup> وأما إذاء الأتباع فإنه من الأمور التي يعرفها الخاص والعام ولكنـه تفاوت بحسب الأحوال والوضع الاجتماعي . فالناجر تكسـد تجارتـه وذـي القبيلـة يشتـكي أمرـه إليها ليكونـ الإـيـذـاء وأما الخـدمـ والعـيـدـ فـكانـوا يـعـذـبونـ حتـىـ يـقـتـلـونـ أوـ يـفـتـنـونـ<sup>(١٠)</sup> - إلاـ منـ عـصـمـ

(١) ابن كثير / ٢١٣٠ .

(٢) الحجرات آية ١١ ، ١٣ .

(٣) المدثر آية ٢٤ ، وسبأ ٤٣ ، والزخرف ٣٠ .

(٤) سورة ص آية ٧ .

(٥) الفرقان آية ٧ .

(٦) الفرقان آية ٤ ، وفصلت ٤٤ ، والنحل ١٠٣ .

(٧) العلق آية ٩ ، ١٠ .

(٨) ابن هشام - السيرة ١/ ٣٧٥ ، ٢/ ١٤ .

(٩) خاتم النبـين ١/ ٤٥٥ .

(١٠) حدائق الأنوار ١/ ٣١٥ ، والاصطـفاـ ١/ ١١٤ .

الله - وقد شكى ذلك الأمر الصحابة إلى الرسول ﷺ فكان يقول لهم «اصبروا فإني لم أمر بقتال» <sup>(١)</sup> وكان هذا القول امثلاً للأوامر والأوصاف الصادرة إلى الرسول ﷺ عن أحوال الأمم السابقة وما لاقاه الأنبياء من الإيذاء . قال تعالى لنبيه : ﴿ وَلَقَدْ كَذَبَتِ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَبُوا وَأَوْذَبُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرًا ﴾ <sup>(٢)</sup> . ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَءُ بِرَسُولِنَا مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخْذَتُهُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> . ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ . . . ﴾ <sup>(٤)</sup> .

لذلك كان رسول الله ﷺ يأمر أتباعه بالاعتبار بمن سبق في الصبر على إيذاء الكافرين بالدعوة ذاكرا لهم «أن الرجل منهم - أي المؤمنين السابقين - كانت تحفر له الحفرة فيوضع فيها ثم يوضع المشار على مفرق رأسه ويقال له : إما أن تكفر أو تنشر فما يصدح ذلك عن دينه» <sup>(٥)</sup> .

**آيات الجهاد في العهد المكي ودلائلها كما يرى المفسرون وتصرح السنة**  
 ومع شدة الإيذاء - الحسي والمعنوي - الذي أصاب الرسول ومن تبعه فإن الاذن بالقتال لم يصرح به ، وجمهور المسلمين على أن آيات الجهاد التي نزلت في مكة كانت لجهاد النفس بحملها على الالتزام وكبح الجامح وكذلك جهاد المشركين بالكلمة والحججة فقط دون الاذن بالسيف وهذه الآيات هي أربع فقط في العهد المكي :

**الآلية الأولى :** قال تعالى : ﴿ وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقِّ جَهَادِهِ هُوَ اجْتِبَاكُمْ وَمَا

(١) خاتم النبيين ١/٥٠٢ .

(٢) الأنعام آية ٣٤ .

(٣) الرعد آية ٣٢ .

(٤) الأحقاف آية ٣٥ .

(٥) مسنـدـ أـحمدـ ٥/١١١ .

جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم ﴿١﴾ .  
 قال القرطبي : هو إشارة إلى امثال جميع ما أمر الله به والانتهاء عند كل ما  
 نهى الله عنه أي جاهدوا أنفسكم في طاعة الله ورددوها عن الهوى وجاحدوا  
 الشيطان في ردّ سوسته <sup>(٢)</sup> .

**الآية الثانية :** قال تعالى : « فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً  
 كبيراً <sup>(٣)</sup> نزلت في جهاد الحجة والبيان قال ابن عباس : جاهدهم بالقرآن وقال  
 ابن القيم : أمر الرسول بجهاد الكفار والحجّة والبيان وتبلیغ القرآن <sup>(٤)</sup> .

**الآية الثالثة :** قال تعالى « ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن  
 العالمين <sup>(٥)</sup> قال الحسن البصري إن الرجل ليجاهد وما ضرب يوماً في الدهر  
 بسيف . ومعنى هذا أن الجهاد يتتحقق بغير حرب وقتال . وقال ابن المبارك هي  
 في جهاد النفس وهو الجهاد الأكبر <sup>(٦)</sup> .

**الآية الرابعة :** قال تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وإن الله  
 لمع المحسنين <sup>(٧)</sup> وللمفسرين في هذه الآية عبارات كلها ترجع إلى بذل الوسع  
 في عبادة الله وتوحيده وإطاعته في أوامره وقد اتكاً عليها الزهاد وأهل المجاهدة في  
 العبادة وجعلوها حجة لذاهبهم في الأخلاص والمراقبة وصرفها غيرهم إلى طلب

(١) سورة الحج آية ٧٨ .

(٢) تفسير القرطبي ٩٩ / ١٢ .

(٣) الفرقان آية ٥٢ .

(٤) زاد المعاد ٥ / ٣ .

(٥) العنكبوت آية ٦ .

(٦) ابن كثير - تفسير - ٤٠٤ / ٣ .

(٧) العنكبوت آية ٦٩ .

الجهاد ببيان مناهج الحق ورفع منارة الإسلام<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ أن سورة العنكبوت نزلت قبل الهجرة بعام واحد ، في حق أنس أوذوا وفتنوا من المشركين فضاقوا ذرعا بما أصابهم وجذع لهم أهلوهم فنزل قول الحق ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَرْكَوْا أَنْ يَقُولُوا آمَنُوا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمُنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمُنَّ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وغاية ما انتهى إليه الأمر في مكة هو إذن الرسول لمن شاء من الصحابة أن يترك مكة ويتوجه إلى الحبشة لأن بها ملكا لا يظلم عنده أحد . ويلاحظ على العهد المكي ما يلي .

١ - أن جهاد الرسول ومن آمن به لغيرهم كان بالحجارة والبلاغ دون استخدام السيف على وجه الاطلاق .

٢ - كان الهدف الأساسي أن تخالط العقيدة دماء أصحابها ليهون كل شيء بعد في سبيلها .

٣ - كانت مبادئ الإسلام أشد من كل سيف وكان تتابع الوحي ملهمها الرسول بإجابة أو حجة أو برد على شبهة لا يقل عن جهاد السيف حتى إن أهل مكة كانوا يتطلبون من اليهود أسئلة يتحدون بها الرسول ﷺ فيخبرونهم بالأسئلة والإجابة بهدف التعجيز من ناحية والتثبت من ناحية أخرى<sup>(٣)</sup>.

٤ - الامثال التام من قبل الرسول والصحابة للأوامر الصادرة من قبل الحق سبحانه بالصبر وتحمل الأذى دون العدل عن ذلك إلى السيف<sup>(٤)</sup> حتى إن

(١) موسوعة ساحة الإسلام ٢ / ٧٧٦.

(٢) العنكبوت آية ٢ ، ٣ .

(٣) راجع كتب التفسير وكتب أسباب النزول عند الآية ٨٥ من سورة الإسراء ، ١٣ - ٢١ من سورة الكهف ، ٩٧-٨٣ من نفس السورة .

(٤) الأحقاف آية ٣٥ ، الأنعام ٣٤ ، النحل ٤٢ ، ٤٦ ، طه ١٣٠ ، الروم ١٣٠ ، الطور ٤٨ ، القلم ٤٨ ، المزمل ١٠ ، الإنسان ٢٤ .

من أسلم من أهل المدينة - بعد بيعة العقبة وقبل الهجرة - قد أستاذن  
الرسول ﷺ أن يميلوا على أهل الوادي ميلة فلم يأذن لهم الرسول  
بذلك<sup>(١)</sup> .

٥ - كان للصبر والصفح والعفو آثار سلبية - على المسلمين - من قبل أهل مكة  
فاتخذوا قرارات عدة أخطرها قتل الرسول ﷺ لقتله معه الدعوة<sup>(٢)</sup> ،  
وعندما أذن الله لنبيه أن يتوجه إلى المدينة المنورة حيث إن المناخ قد هيئ  
لذلك فكانت الهجرة التي اتخذها أهل مكة ذريعة لسلب مال كل مهاجر أو  
منعه منه والخلولة بينه وبين ولده وزوجه ، بل الفصل بين الأم ووليدها  
دون اعتبار لإنسانية أو خلق فتشي أمر الجماعة الجديدة وقد غلب عليه سمة  
الذلة والمهانة .. الخ .

### العهد المدني للدعوة ومشروعية القتال

ما سبق إيجازه تبين أن الظروف لم تسمح بإرساء معالم الدولة الإسلامية في  
مكة للأسباب الآتية :

- ١ - كان أهل مكة يدينون بالوثنية وأما الإيمان بالرسالات السماوية فلم يكن  
معروفاً إلا لقلة قليلة لا حول لها ولا طول<sup>(٣)</sup> ، ولذلك كان أهل مكة  
شديدي البأس على الداعي والدعوة والمستجيبين .
- ٢ - أن المستجيبين للدعوة كانوا قليلي الامكانيات المادية - إذا استثنينا نفراً  
منهم - للحرب التي شنت عليهم من ناحية ولكونهم أرقاء من ناحية  
أخرى .

(١) ابن هشام ٩٠/٢ .

(٢) سورة الأنفال آية ٣٠ .

(٣) الاصطفاف في سيرة المصطفى ٧٠/١ .

٣ - أن نسبة المسلمين إلى المشركين كانت غاية في القلة فضلاً عن أن أهل مكة كان لهم أحلاف ينتصرون بهم ولا يخفى إيذاء القبائل المجاورة للداعي  
الأول - محمد ﷺ .

٤ - كان السماح بالهجرة من العوامل التي لم تتمكن من قيام دولة إسلامية وإن أكست الدعوة تعريفاً بها وهجرة الرسول ﷺ نفس هو وأصحابه الصدفاء واستشعروا وهم كثرة ، فضلاً عن اليسر المادي الذي أصاب المهاجرين مع يسر العيش لدى الأنصار . وقد حرص ﷺ على توقيع معايدة بين المسلمين واليهود وفقاً لسبعين السيرة<sup>(١)</sup> . كما ثبتت المؤاخاة بين المهاجرين والأئمة<sup>(٢)</sup> . فلأنه معها مظاهر الجاهلية (التعصب للقبيلة - العشيرة - البطن) وظهر نسب جديد « إنما المؤمنون إخوة »<sup>(٣)</sup> . وكثرت الأحاديث التي تؤكد هذا النص من ناحية تطبيقه<sup>(٤)</sup> . كما رجع بعض المسلمين الحبشة إلى المدينة فاستشعر المسلمون وجودهم الفعلي بعد أن خلصت لهم بقعة من الأرض وصارت لهم قوة وحرصوا على أن يعرف بها رسمياً في وقت كانت مكة تنظر إليهم نظرة إزدراء وتؤدي كل مسلم مقيم بها غاية الإيذاء .

وقد كان للاستقرار في المدينة أثره في الذكريات ، فتارك ولده مكرهاً ومسلوب ماله مرغماً والفار بدينه خشية اهلكة والحرirsch على أن تكون لهم العزة بعد ذلة .. الخ . كل ذلك قام بأنفس المسلمين ، فأذن الله لهم بالقتال في السنة الثانية للهجرة<sup>(٥)</sup> مراعاة للجوانب النفسية والمعنوية وحرصاً على استرداد الكرامة وحملأ للمجتمع الدولي عامة ومكة خاصة على الاعتراف بالدعوة والجماعة الجديدة

(١) ابن هشام ١٤٧ / ٢ . والسيرة النبوية لابن كثير ٣١٩ / ٢ - ٣٢٣ .

(٢) الحجرات آية ١٠ .

(٣) راجع مادة (حق - سلم - أمن) في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث التبوi .

(٤) تفسير ابن كثير ٢٢٥ / ٣ ، خاتم النبيين ٦٨٠ / ٢ .

ولفت نظر المعرضين إليها ، كما أن الأديان بل والتيارات تحتاج إلى من يدفع عنها بالقدر الذي تصد به ، وكل حق لا يقاتل دونه ضائع لا محالة في مجتمعات لا تعرف القيم والأخلاق . ولذلك نزل قول الحق ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض هدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ..﴾<sup>(١)</sup>

ويمكن القول : إن الإذن بالقتال في الإسلام ورد للأسباب التالية .

١ - إلزام الغير بحقوق الدولة الإسلامية قبله مثلما تلتزم الدول الإسلامية بتلك الحقوق والمتمثلة في رعاية حسن الجوار وعدم أذى الأفراد بأي صورة من الصور مع وجوب الاعتراف وعدم الاستخفاف بالدولة الإسلامية سواء أكان ذلك في الداخل أم الخارج<sup>(٢)</sup> .

٢ - رد كل اعتداء يقع على الأفراد أو الجماعات - الإسلامية - سواء أكانوا في ديار الإسلام أم في ديار غير المسلمين مع تقدير هذا الرد ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب العتدين﴾<sup>(٣)</sup> . ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تَقْاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا أَخْرَجَنَا مِنْ هَذِهِ الْقُرْيَةِ الظَّالِمُ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾<sup>(٤)</sup> .

٣ - تأمين حدود الدولة الإسلامية ورد كل إعتداء متوقع قبل وقوعه باعتبار أن خير وسيلة للدفاع الهجوم ، كما أن عنصر المباغة والمفاجأة له دوره في

(١) سورة الحج آية ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) أقرأ الآيات رقم ١٩٠ - ١٩٤ من سورة البقرة .

(٣) سورة البقرة ١٩٠ .

(٤) النساء ٧٥ .

هزيمة المعتمدي .

٤ - إخاد كل فتنة تقوم بها طائفة من المسلمين على الدولة الإسلامية ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بعث إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفبيء إلى أمر الله ﴾<sup>(١)</sup> .

٥ - تأمين سلامه وصول الدعوة وعدم الحيلولة بينها وبين البلاغ للناس دون إكراه أو إلزام .

ويمكن الإشارة إلى نهادج من الغزوات والسرايا وفق ما سبق على النحو التالي :

أولاً : الإلزام لآخرين بحقوق الدولة المسلمة تجل ذلك في : حروب الرسول مع يهود المدينة ، غزوة السوق ، غزوة ذي قرد ، غزوة بنى المصطلق ، غزوة حنين<sup>(٢)</sup> .

ثانياً : رد كل اعتداء واقع تمثل في : غزوة بدر - غزوة الأحزاب - فتح مكة<sup>(٣)</sup> .

ثالثاً : تأمين حدود الدولة الإسلامية ورد كل اعتداء متوقع تمثل في : غزوة أحد ، غزوة حماء الأسد ، غزوة ذات الرقاع ، غزوة بدر الآخرة ، دومة الجندل ، فتح خير ، غزوة تبوك<sup>(٤)</sup> .

رابعاً : إخاد كل فتنة تقوم بها طائفة مرتدة أو متأولة مثل : حروب الردة - قتال مانعي الزكاة<sup>(٥)</sup> .

---

(١) الحجرات آية ٩ .

(٢) الواقدي ١/١ ، ١٧٦/١ ، ١٨١/١ ، ١٨١/٣ ، ١٩٧/١ ، ٢٠١/٣ ، ٢٠٥/٣ ، ابن هشام ٤١٧/٣ ، ١٩٩ ، ٣٠٢/٣ ، ٢٩٣/٣ ، ٤٧/٣ ، ٨٠/٤ .

(٣) ابن هشام ٢/٢ ، ٢٦٢/٣ ، ٣١/٤ ، ٢٢٤/٣ ، ومغازي الواقدي ١/٢٠ ، ٤٤١/٢ ، ٤٤٢ ، ٨٨٥/٣ بحسب الترتيب أعلاه .

(٤) مغازي الواقدي ١/١٩٩ ، ٣٣٤ ، ٣٨٤ ، ٣٩٥ ، ٤٠٣/١ ، ٦٣٣/٢ ، ٨٩/٣ حسب الترتيب ، وابن هشام ٦٣/٣ ، ١٢٨/٣ ، ٢١٣/٣ ، ٢٢٠/٣ ، ٣٤٢/٣ ، ١٥٩/٤ .

(٥) مسلم بشرح النووي ١/٢٠٠-٢١١ .

خامساً : تأمين سلامه وصول الدعوه وهو أوضح ما يكون في غزوة مؤته والباعث عليها<sup>(١)</sup> .

والواقف على سيرة الرسول ﷺ يلاحظ أن الإسلام لا يقر الإكراه على العقيدة ، فما رأينا غزوة واحدة غزاها الرسول من أجل حمل الناس على الإسلام - وإن أسلم البعض كرهًا لضعف الشخصية أو هو في نفسه كاستبقاء مال وولد ... الخ .

فدعاوي أعداء الإسلام ومن سلك سبيلهم أن الإسلام يكره الناس على الدخول فيه أو يراق دمهم مردودة ، حيث إن من مبادئ الإسلام حرية الاعتقاد بدءاً دون العدل عن الإسلام إلى غيره بعد اعتناقه لأسباب ذكرها الفقهاء والمحدثون<sup>(٢)</sup> . وقد وردت بعض النصوص صريحة « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي »<sup>(٣)</sup> . « فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر »<sup>(٤)</sup> . « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »<sup>(٥)</sup> . « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء »<sup>(٦)</sup> . بل إن المسلمين ليؤمنون بأن إيمان جميع البشر بالإسلام أمر لن يتحقق وما عليهم إلا البلاغ « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جمِيعاً فأنْتَ تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »<sup>(٧)</sup> كما أن كل إيمان تحت وطأة الإكراه مردود على صاحبه « وجاؤزنا ببني إسرائيل البحر فأتباعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي

(١) الواقدي ٧٥٥/٢ وسيرة بن كثير ٤٥٨/٣ .

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته ١٨٣/٦ - ١٩٤ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٦ .

(٤) الغاشية ٢١ - ٢٣ .

(٥) الكهف ٢٩ .

(٦) القصص ٥٦ .

(٧) يونس ٩٩ .

آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل . . . <sup>(١)</sup> . هذا عن مشروعية القتال في الإسلام .

### آداب الإسلام في القتال (حين التطبيق)

لقد ألزم الإسلام أتباعه بالقيم حتى وقت القتال مع الخصم مع حرصه على أن لا يكونوا متعطشين للدماء . بل النأى عنه ما استطاعوا فإذا أكرهوا عليه كانوا أهلا له وذلك بإعداد العدة <sup>(٢)</sup> وحسن التدريب والوحدة بين القلوب والثبات حين اللقاء وعدم الإدبار إلا لضرورة حربية <sup>(٣)</sup> . ويمكن إيجاز تلك الآداب في النقاط التالية في ضوء القرآن والسنة .

- ١ - النهي عن تمني لقاء العدو . فقد ورد عن الرسول ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو أنه انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال : « لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيف » <sup>(٤)</sup> . وعن أبي هريرة ب قوله <sup>(٥)</sup> .
- ٢ - الدعوة إلى الإسلام قبل القتال . فلقد كان النبي ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أو صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال : « اغزوا باسم الله في سبيل الله . قاتلوا . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تخنعوا أو لا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليديا وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاثة خصال فأياهم ما أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم . أدعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم ، ثم

(١) يونس ٩٠ ، ٩١ .

(٢) الأنفال ٦٠ .

(٣) الأنفال ١٥ ، ١٦ .

(٤) البخاري ك الجهاد ٢٢ ومسلم ك الجهاد (٢) .

(٥) فتح الباري ٦/١٥٦ .

ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للهجرة وعليهم ما عليهم «<sup>(١)</sup> . وقد ذكر الترمذى ذلك عن سليمان التزاماً في بعض الغزوات<sup>(٢)</sup> ، وألزم عمرو بن عبسة معاوية بذلك في بعض مغازيهم<sup>(٣)</sup> . والذى أراه أن وسائل التجسس الحديثة تغنى عن ذلك .

### ٣ - أدب القتال في المعركة :

إذا رفض العدول العد عن القتال إلى السلم وأبى الاستجابة لواحدة من الشتتين - الإسلام أو الجزية - لم يكن إلا القتال ، خاصة إذا قدم هو إلى ديار الإسلام أو استند إيداؤه لل المسلمين فهنا يجب قتل المقاتلين ، ويحرم قتل غيرهم إلا إذا كانوا عونا لهم بأى صورة من الصور .

ويمكن إيجاز تلك الآداب كما تصورها السنة على النحو التالي :-

أ - النهي عن قتل المرأة ما لم تقاتل وكذلك الوليد والأجير ، فعندما رأى الرسول ﷺ إمرأة مقتولة وعلم أن قاتلها خالد بن الوليد ، أرسل إليه من يقول له : « إن رسول الله ينهاك أن تقتل امرأة أو وليداً أو عسيفاً »<sup>(٤)</sup> ، وعندما رأى امرأة مقتولة في مكة قال : « ما كانت هذه تقاتل » ونهى ... وبمثله في الطائف<sup>(٥)</sup> .

ب - جواز التأمين للعدو وإن كان المؤمن إمرأة ، كما ورد عن أم هانىء قالت : قلت يا رسول الله زعم ابن أبي علي أنه قاتل رجلا قد أجرته . فقال رسول

(١) رواه الخمسة من حديث طويل إلا البخاري .

(٢) سنن الترمذى . وحسنه ٥٢/٢ ط دار الفكر .

(٣) رواه الترمذى وحسنه وصححه ٧١/٣ .

(٤) سنن أبو داود ١٢١/٣ ، ١٢٢ .

(٥) فتح الباري بشرح البخاري ٦/١٤٨ .

الله ﷺ : «قد أجرنا من أجرت يأْمَنْهَا»<sup>(١)</sup>.

ج - لا يجوز الاجهاز على جريح كما ورد «ولا يزفف على جريح ولا يتبع مدبر»<sup>(٢)</sup>.

د - لا يجوز قتل الشيخ الفاني والصبي غير المكلف والأعمى المعد إلا أن يكون أحدهم عارياً أو يتّقي بهم<sup>(٣)</sup>.

ه - لا يجوز قتل الرهبان وأهل الكنائس الذين لا يخالطون الناس وينقطعون لعبادة الله<sup>(٤)</sup>.

و - عدم قتل يابس الشقة ومقطوع الذراع أو الأطراف ما لم يقاتلا وفيه التفرقة بين المحارب وغير المحارب.

ز - لا يجوز تخريب شيء إلا بقدر الضرورة مما يرعب العدو من النبي عن تسميم الآبار وحرق الأبنية<sup>(٥)</sup>.

ح - جواز عقد المدننة بل هي مندوية ما دعى إليها وإن جنحوا للسلم فاجنح لهم وتوكل على الله<sup>(٦)</sup> ، وللعلماء في مدة المدننة آراء بين الاطلاق والتقييد بفترة زمنية معينة.

ط - لا يجوز حرق العدو أو تعذيبه بالنار وما في حكمها . وفي الحديث «إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموها فاقتلوها»<sup>(٧)</sup>.

#### ٤ - آداب القتال بعد المعركة (بالنسبة للأموات) :

فإذا انتهت المعركة كانت وجوه الإحسان على النحو التالي :-

أ - حرمة التمثيل بالقتل أو القتل صبراً للأسرى كما صرحت بذلك السنة «لا

(١) صحيح البخاري راجع الفتح ٢٧٣/٦.

(٢) أبو داود ك الجihad ١١١.

(٣) أبو داود ٣/٨٦ ، ٨٧.

(٤) الأنفال آية ٦١ ، ٦٢.

(٥) فتح الباري ٦/١٤٩ والتirmidyi ٣/٦٧.

تمثلاً»<sup>(١)</sup> في الحديث ما قام رسول الله ﷺ في مقام قط ففارقه حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة<sup>(٢)</sup> ، وهو أمر لم يعرف في ذلك الوقت .

ب - وجوب دفن قتلى المشركين ، فالإنسان في نظر الإسلام مكرم بحكم آدميته وتكريمه ميتاً بدفعه فقد ورد في السنة عن يعلي بن مرة قال : سافرت مع رسول الله ﷺ غير مرّة فما رأيته من بجيبة إنسان فيجاوزها حتى يأمر بدفعها ولا يسأل مسلم هوأم كافر<sup>(٣)</sup> .

وعن عكرمة أن النبي ﷺ رأى إمرأة مقتولة في الطائف فقال : « من صاحب هذه المرأة - أى قاتلها - » فقال رجل من القوم أنا يارسول الله أردفتها فأرادت أن تصرعني فقتلني . فأمر بها الرسول أن تواري<sup>(٤)</sup> . وفي غزوة بدر أمر الرسول بدفع أبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف ومثل ذلك حدد في بني قريظة<sup>(٥)</sup> .

ج - النبي عن بيع أجساد قتلى العدو : ففي غزوة الأحزاب حين قتل علي عمر بن ود وطلبوا شراء جسده بعشرة آلاف - رغم ضيق حال المسلمين - قال الرسول ﷺ : « هو لكم لا تأكل ثمن الموتى<sup>(٦)</sup> ». كما طلب المشركون شراء جسد نوفل بن عبد الله بن المغيرة الذي قتل لاقتحامه الخندق فقال لا حاجة لنا بشمن جسده<sup>(٧)</sup> .

### آداب القتال بعد المعركة « بالنسبة للأحياء من العدو »

فإذا انتهت المعركة لصالح المسلمين أو غيرهم فلا يخلو حال العدو من ترك

(١) رواه الحمسة إلا البخاري .

(٢) التاج الجامع ٤/٣٣٤ ، وسنن أبي داود ٣/١٢١ .

(٣) سنن الدارقطني ٢/٤٧٣ .

(٤) سنن البيهقي ٩/٨٢ .

(٥) فتح الباري ٦/٢٨٣ .

(٦) الروض الأنف ٣/٢٧٥ ، وسيرة ابن كثير ٣/٢٠٥ .

(٧) فتح الباري ٦/٢٨٣ .

الميدان أو الأسر أو القتل أو البقاء للفصل في الأسري . وهنا نرى أن الإسلام لم يترك الأسري لهوى الأسرين بل وضع آداباً وقواعد ينبغي التحلي بها ، منها ما هو قبل الفصل في أمرهم ، ومنها ما هو حال الفصل ومنها ما هو بعد الفصل بحسب الحال التي يؤول إليها الأسير وذلك على النحو التالي :-

**أولاً : الأسري قبل الفصل في أمرهم :** أثني الإسلام على الأبرار وذكر أن من صفاتهم ﴿ ويطعمون الطعام على جبه مسكيناً ويتيناً وأسيراً . إنما نطعمكم لوجه الله . . . ﴾<sup>(١)</sup> ولقد كان الرسول ﷺ يوصي أصحابه بالرفق بالأسرى ، حتى إن أسري بدر كانوا كأنهم في ضيافة المسلمين كما ذكرت كتب السيرة حتى إن الذين نزلوا ديارهم كانوا يوثرونهم على أنفسهم وأولادهم بالطعام وأنهم كانوا في جهادين :

- ١ - **جهاد السيف ونيران الحرب مستمرة حتى إذا أنطفأت كان الجهد الثاني وهو .**
  - ٢ - **ضبط النفس بكظم الغيظ حتى لا يقع منها ما لا يرضاه الله بالنسبة للمغلوبين خاصة الأسري<sup>(٢)</sup> .**
- كما ينبغي عدم إكراه المأسور على الإسلام أو حله عليه فإن دان به قبل القسمة كان له ما للMuslimين وعليه ما على المسلمين ، ويحرز نفسه وماليه .

**ثانياً : الأسري حين الفصل في أمرهم :** ينبغي على إمام المسلمين أن يتصرف في أمر الأسري بما ينفع المسلمين ولذلك خيره الإسلام بين الأمور التالية :

- ١ - **القتل :** واستشهاد العلماء له بقول الحق سبحانه ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسري حتى يشخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة

(١) سورة الإنسان ٨ .

(٢) خاتم النبيين لأبي زهرة ٥٩٢/٢ .

والله عزيز حكيم <sup>(١)</sup> ، وإلى هذا ذهب سعيد بن جبير . وقد عمل به  
الرسول ﷺ في أمر أسرى بنى قريظة خاصة <sup>(٢)</sup> .

ب - المن بلا مقابل : عملا بالنص <sup>﴿</sup> فإذا منا بعد وإنما فداء <sup>﴾</sup> <sup>(٣)</sup> وقد فعل  
ذلك الرسول ﷺ مع أهل هوازن حين أتوا مسلمين طالبين سبيهم  
وأموالهم فخيرهم الرسول بين السبي والمال ، فطلبوها السبي فأعطاهم  
الرسول إياه بلا مقابل من حديث طوبيل رواه البخاري <sup>(٤)</sup> . كما فعل  
الرسول ذلك مع أهل مكة وقوله المشهورة « اذهبوا فأنتم الطلقاء » <sup>(٥)</sup>  
يعرفها الخاص والعام . وسئل علي رضي الله عنه هل عندكم شيء من  
الوحى ؟ قال : لا . والذى فلق الحبة ويرأ النسمة إلا ... وما في هذه  
الصحيفة . قلت : وما في هذه الصحيفة . قال : العقل وفكاك  
الأسير <sup>(٦)</sup> .

وقد ذهب الإمام أبو زهرة إلى أن الأسير إذا كان فقيراً لا مال له فإنه  
يتquin تسريحه ويكون ذلك من باب الصفع الجميل الذي أمر به النبي ﷺ  
<sup>﴿</sup> فاصفع الصفع الجميل <sup>﴾</sup> <sup>(٧)</sup> ومن الأخذ بالعفو <sup>﴿</sup> خذ العفو وأمر  
بالعرف <sup>﴾</sup> <sup>(٨)</sup> .

ج - المن بمقابل : عملا بالنص الشريف <sup>﴿</sup> فإذا منا بعد وإنما فداء <sup>﴾</sup> <sup>(٩)</sup> وقد

(١) الأنفال آية ٦٧ .

(٢) ابن هشام ٢٥٩/٣ .

(٣) سورة محمد آية ٣ .

(٤) التاج الجامع لأحاديث الرسول ٣٥٥/٤ .

(٥) مغازي الواقدي ٨٣٥/٢ .

(٦) فتح الباري ١٦٧/٦ .

(٧) سورة الحجر آية ٨٥ .

(٨) الأعراف آية ١٩٩ .

(٩) سورة محمد آية ٤ .

قبل الرسول ﷺ الفداء من أهل مكة في أسرى بدر ومن لم يملك ما يفتدى به كلفه بتعليم عشرة من الصحابة وجعل أجره عتقه<sup>(١)</sup>.

د - جواز تبادل الأسرى : فقد روى عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ فدى رجلين من المشركين برجل من المسلمين<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر : ولو كان عند المسلمين أسرى وعنده المشركين أسرى واتفقوا على المقاداة تعينت ولم تخز مقاداة أسرى المشركين بالمال<sup>(٣)</sup>.

ويلاحظ أن الإسلام أوجب عدم التفريق بين الأم ووليدها حين القسمة أو حين البيع ، كما وقع ذلك في بني قريظة<sup>(٤)</sup> . وفي الحديث « لا يفرق بين الوالدة ولدها فقيل إلى متى قال حتى يبلغ الغلام وتحميس الجارية»<sup>(٥)</sup> .

### ثالثاً : الأسرى بعد الفصل في أمرهم :

أوجب الإسلام تكريم الأرقاء بحكم البشرية ولا يسبون ديانة<sup>(٦)</sup> ولا ينادون بلفظ عبدي بل فتاي<sup>(٧)</sup> . ولا يكرهون على الإسلام وهم أمانة في عنق ذويهم . كما ندب الإسلام إلى عتقهم خاصة أن بعض الكفارات لم تقيد تحرير الرقاب فيها بالإثبات<sup>(٨)</sup> . كما وردت آيات تدعوا إلى فك الرقاب

(١) فتح الباري ٢٤٣/٦ .

(٢) رواه أحمد ٤٢٦/٤ والترمذى وحسنه ٦٥/٣ .

(٣) فتح الباري ١٦٧/٦ .

(٤) سنن الترمذى ٦٤/٣ .

(٥) أبو داود ١٤٤/٣ ، ١٤٥ .

(٦) سورة الأنعام آية ١٠٨ .

(٧) البخاري لـ العتق رقم ١٧ .

(٨) المائدة آية ٨٩ ، والمجادلة ٣ .

باعتبارها منجيات من النار<sup>(١)</sup> . وأما من دان منهم بالإسلام . فكان له أوليات العتق في كثير من المواطن عملاً بنص القرآن وصرح السنة ، كما فتح الإسلام لهم بباب الحرية عن طريق المكتابة والمدايرة مع مراعاة الفطرة والغرائز . ولذلك أباح الإسلام للسيد حق الاستمتاع بالأمة المسيحية - بشرط - عفة لها من ناحية وفتحاً لباب تحريرها إذا ما صارت أم ولد<sup>(٢)</sup> .

### **شبهات حول مشروعية القتال في الإسلام**

أخذ أعداء الإسلام - والمعصيون من المسلمين - بعض الآيات واعتمدوا على بعض الآراء الشخصية الواردة في بعض كتب التفسير حجة على أن الإسلام دين السيف وأن آيات السلم منسوبة بآيات السيف . نذكر هذه الآيات ثم نوجز الرد عقبها .

**الآلية الأولى :** قال تعالى : ﴿وَأَعْدَوْهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تَرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ..﴾<sup>(٣)</sup> . وظاهر الآية بذل النفس والنفيس من أجل تأسيس جيش إسلامي يرهب الآخرين ويمكّن من الغلبة عليهم .

**التعليق :** إن هذه دعوة إلى السلم أكثر من الحرب فالجيش القوي للأمة الإسلامية يرهب كل عدو تسول له نفسه أن يدهم ديار الإسلام ، فيكون السلم من قبله في الوقت الذي حرم الإسلام فيه على المسلمين الاعتداء . ثم عقب القرآن على هذه الآية بأية السلم مع الالتزام به .

(١) سورة البلد آية ١١ ، ١٢ .

(٢) أي بعد التملك وذلك بآداب واردة في السنة - الترمذى ٦٣/٣ .

(٣) الأنفال آية ٦٠ .

**الآية الثانية :** قال تعالى : ﴿ وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾<sup>(١)</sup> وظاهرها الأمر بقتل غير المسلمين حتى يخضعوا للإسلام .

**التعليق :** هذا الفهم غير صحيح لأنه نتاج الفصل بين الآية وما سبقها من آيات . والربط بينها يبين المعنى المراد ، قال تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب العتدين . وقاتلواهم حيث ثقفتهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلواهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم . وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾<sup>(٢)</sup> فالآلية مقيدة بعدم الاعتداء ، فإن وقع الاعتداء من قبل المشركين وجب الضرب بقوة حتى يكون الاذعان للقواعد العامة المتعارف عليها وحتى لا يفتتوا المسلمين المقيمين بديارهم بمنعهم من الهجرة أو أداء الشعائر أو حملهم على الكفر كرهاً .

**الآية الثالثة :** قال تعالى ﴿ فإذا انسلح الأشهر الحرم فاقتلو المشركين حيث وجدتهم . . . ﴾<sup>(٣)</sup> وظاهر الآية يوجب قتال المشركين حتى يتوبوا ويقيموا الصلاة فِي خَلْ سبيلهم .

**التعليق :** هذه الآية تحدد العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الوثنين خاصة وقد سبقت بآيات توضح ذلك . وهي توجب على المسلمين تحقيق سيادتهم على دولتهم وعدم تركهم فيها من يدين بدين لا يضرب بأصل إلى

(١) البقرة آية ١٩٣ .

(٢) البقرة ١٩٠ - ١٩٣ .

(٣) التوبة ٥ .

الوحى . أما الوثنيون فلا حق لهم في الدولة الإسلامية . وقيل أنها في مشركي مكة خاصة<sup>(١)</sup> .

وأما ما ورد من أحاديث تصرح بالأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله<sup>(٢)</sup> . فللعلماء في الحديث آراء أرجحها أن «أَل» في كلمة «الناس» للعهد وهم المشركون وليس للجنس<sup>(٣)</sup> . وقيل إن القتال دون القتل . أي المغالبة - ومنها المغالبة بالحجارة ، والسننة العملية أبرزت العفو مع التمكين في كثير من المواطن . فلو كان الإكراه على العقيدة سمة من سمات الإسلام ما ترك بنو قينقاع وبنو النضير وأهل خيبر وأسرى بدر وسبى هوازن ، وما عاد الرسول من تبوك بلا قتال .

### ثانياً : مشروعية القتال في اليهودية

ساقت الأقدار ببني إسرائيل إلى مصر على أثر مجاعة أصابت بلاد الشام ومصر زمن يعقوب . في وقت كان يقيم فيه يوسف بمصر . فيسرّ أسباب إقامة إخوته وأبويه بها ، ثم تکاثروا وتتوالدوا ، إلا أن المصريين لم يقبلوا هؤلاء لعجز في سلوكهم وسوء في طبعهم ترتب عليه أن يكونوا مواطنين من الدرجة الثانية في مصر . بعد أن أدرك الحكم خطر هؤلاء على أنفسهم وعلى الشعب بعد نموهم بصورة بالغة<sup>(٤)</sup> ، حتى إذا كان زمن موسى عليه السلام ، أمره ربه أن يخرج ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة مروراً بأرض سيناء . وقد يسر الله أسباب الهجرة فاجتاز البحر الأحمر دون حرب ولم يرد

(١) موسوعة ساحة الإسلام ٩٧٣/٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٦/١ .

(٣) فتح الباري ١/٧٧ .

(٤) اقرأ سفر الخروج ص ١ ، ٥ كاملين .

نص قرآن يصرح بذلك ، حتى إذا وصل سيناء أمر قومه بدخول الأرض المقدسة وإن ترتب على ذلك قتال ولكن القوم أبوا بدءاً . وقد ورد في التوراة الموجودة الآن مثل ذلك إلا أنها صرحت بأن بني إسرائيل حين أرادوا الخروج من مصر نصبوا على المصريين فسلبوا أموالهم وكل ما يستطيعون حمله بلا استثناء<sup>(١)</sup> .

و قبل الحديث عن مشروعية القتال في اليهودية يمكن القول بأن اليهود يؤمنون بأمرين ارتبطت بهما مشروعية القتال وهما :-

الأمر الأول : أفضليتهم على من سواهم من بني البشر معتقدين أنهم نوع يفوقسائر الأنواع ولذلك خصهم الله بالنبوة والرسالة دون سواهم ، وجعلهم أهله بنصوص عدة مذكورة في التوراة ، منها بالإضافة إلى لفظ الحلال وإضافة لفظ الحلال إليهم بأسلوب القصر<sup>(٢)</sup> . وقد نص القرآن على هذا الاتجاه عندهم ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنبكم بل أنتم بشر من خلق﴾<sup>(٣)</sup> ومن خلال هذا المفهوم عندهم يرون وجوب إخضاع الغير لهم كما سيرد بعد .

الأمر الثاني : يؤمن اليهود بأن لهم بقعة محددة من الأرض وعد الله بها إبراهيم واسحق ويعقوب وموسى ولا بد من القتال من أجل الحصول على هذه البقعة وفي سبيل ذلك يستباح كل شيء ومن هذه النصوص ما يلي :-  
١ - الوعد لابراهيم : ورد في التوراة ( ولم كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر رب لابرام . وقال له أنا الله القدير . فاجعل عهدي بيبي وبينك

(١) سفر الخروج ص ١١/٣٢ واقرأ من سورة المائدة ٢٠ - ٢٦ .

(٢) راجع مادة شعب - شعب الله - الهي والحكم - الرب الحكم - وأكون لكم لها - في فهرست الكتاب المقدس .

(٣) سورة المائدة آية ١٨ .

وأكثرك كثيراً جداً ، فسقط إبرام على وجهه وتكلم الله معه قائلاً . . وأقيم عهدي بيبي وبينك وبين نسلك من بعده في أجيالهم عهداً أبداً لا تكون إلاها لك ولنسلك من بعده . وأعطي لك ولنسلك من بعده أرض غربتك . كل أرض كنعان ملكاً أبداً وأكون لهم . . . تكوين ١٧/١١ .

وقد تم تحديد مساحة هذه الأرض ( في ذلك اليوم قطع الرب مع ابراهيم ميثاقاً قائلاً . لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ) تكوين ١٥/١٨ ، ١٩ . ( وقال الرب لا يبرام بعد اعتزال لوط عنه . ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالي وجنوبي وشرقي وغربياً لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد ) تكوين ١٣/١٤ ، ١٥ .

٢ - تجديد الوعد لـ إسحاق بنفس العقة من الأرض : ورد في التكوين ( ذهب اسحاق إلى أبيه إيلك ملك الفلسطينيين إلى جرار . وظهر له الرب . وقال لا تنزل إلى مصر اسكن في الأرض التي أقول لك . . لأنك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأوفي بالقسم الذي أقسمت لا يبراهيم أبيك . . ) تكوين ٢٦/٣ .

٣ - تجديد الوعد لـ يعقوب : ( والله القدير يبارك ويجعلك مثمراً ويكثرك فتكون جمهوراً من الشعوب ويعطيك بركة ابراهيم لك ولنسلك معك لتراث أرض غربتك التي أعطاها الله لا يبراهيم <sup>(١)</sup> . . .

٤ - تجديد الوعد لـ موسى : ( وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى رأس الفسحة التي قبلة أريحا فأرأى الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان وجميع نفتالي وأرض أفريم ومنسى وجميع أرض يهودا إلى البحر الغربي والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوغر . وقال له الرب هذه

---

(١) تكوين صفحه ٢٨/٣ - ٥ .

هي الأرض التي أقسمت لابراهيم واسحق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها  
قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر . . . )<sup>(١)</sup> .

كما ورد ( كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية  
ولبنان . من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تحكمكم لا يقف إنسان  
في وجهكم . . . )<sup>(٢)</sup> .

٥ - أمر موسى قومه بتحقيق ذلك : حيث قال لهم ( كفاكم قعوداً في هذا  
الجبل . تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأمراء وكل ما يليه من العربة  
والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر  
الكبير نهر الفرات . انظر قد جعلت أمامكم الأرض ادخلوا وقلعوا الأرض  
التي أقسم رب لأبائكم ابراهيم واسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم  
من بعدهم . . . )<sup>(٣)</sup> .

وقد عرف اليهود الحياة الحربية منذ فترة زمنية مبكرة للسبعين السابقين  
ومازالوا على ذلك حتى الآن .

موسى عليه السلام والقتال : لقد صرحت التوراة بأن موسى أمر بالقتال  
وقد نفذ ذلك تحقيقاً لوعود رسمتها أو رسمها اليهود في التوراة . فلقد أضافت  
التوراة في الحديث عن قتال المديانيين انتقاماً لبني اسرائيل وقد رسمت المعركة عن  
طريق الوحي وانتهى الأمر بأن ( سبي بنو اسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا  
جميع بهائمهم ، وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدتهم بمساكنهم  
وجميع حصونهم بالنار وأخذوا كل الغنية وكل النهب من الناس والبهائم وأتوا إلى

---

(١) سفر الشفاعة ٤: ٣٤ .

(٢) سفر الشفاعة ص ١١ / ٢٤ .

(٣) سفر الشفاعة ١/ ٦: ٨ وصح ٣ / ٢٥ .

موسى والعاizar الكاهن<sup>(١)</sup> . . . ويدعى اليهود أن الله معهم في معارضتهم وسيتحقق لهم وعده (سفر التثنية ٦ / ١٠ ، ١٢ والتكونين ٣ / ٩ و ٩ / ١٢) ولذلك كانت استشارة الله تتم قبل كل معركة على يد الكهنة (سفر القضاة ٢٠ / ٢٨-٢٦) وسفر صموئيل (٢ / ٢٣) وكل الحروب التي تنسب إلى موسى كانت لاستبعاد الغير بالدرجة الأولى<sup>(٢)</sup> .

**الحروب الدينية** : وإذا كانت غاية الحرب ما سبق بالدرجة الأولى هي الأساس في الحروب اليهودية . فإنهم عرموا الحروب الدينية وذلك بقتل كل وثني من الأفراد والأمم . تجلّى ذلك في حرب العمالق زمن موسى<sup>(٣)</sup> . وتكرر ذلك زمن شاول وداود<sup>(٤)</sup> . وبلغت قمّتها في عصر حزقيال<sup>(٥)</sup> . وسبب ذلك دياناتهم بالوثنية .

### أدب القتال في اليهودية

وإذا كانت للحروب آداب تشرع كما شرعت الحرب فإن بيان تلك الآداب يتجلّى فيها يلي :

**أولاً** : بيان صورة القتال : فلقد أباحت التوراة إبادة كل حي وقطع كل أخضر وحرق كل يابس من أجل الحرب فقط وكان ذلك مفروضاً عليهم (سفر التثنية ١ / ٧-١٢) كما ذكرت التوراة أن الرب أمر يشوع بحرب مدينة عاي ورسم له خطة الحرب وكيفية إعداده لكمين قوي ، وقد استجاب يشوع لهذه التعليم

(١) سفر العدد . ص ٣١ / ٣٢ و ٣٢ / ١٧ ، ١٧ / ٢٥ و ٢٥ / ١٣ .

(٢) سفر التثنية . ص ٥ / ٢ ، ٢٩ / ١٢ ، ١٤ / ١٢ ، ٤ / ٣٢ ، ٣٢ / ٤ ، ص ١٠ / ٢١ .

(٣) سفر الخروج ١٧ / ١٤ .

(٤) صموئيل الأول ١٤ / ٤٨ ، ١٥ / ٧١ ، ٣٠ / ١٧ . وصموئيل الثاني ٨ / ١٢ .

(٥) أخبار الأيام الأول ٤ / ٣٤ .

حتى يسرت لهم أسباب الاستيلاء على مدينة عاي (وأما ملك عاي فأمسكوه حيا وتقديموا به إلى يشوع وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحد السيف حتى فروا . أن جميع إسرائيل رجع إلى عاي وضربوها بحد السيف . وأحرق يشوع عاي وجعلها تلا أبداً خراباً إلى هذا اليوم . ومملِك عاي علقة على الخشبة إلى وقت المساء<sup>(١)</sup> .

ثانياً : بالنسبة للمدن المحاربة : تنص التوراة على وجوب إبادتها في الحالات الآتية :-

الحالة الأولى : المدن المرتبة : كما ورد في سفر التثنية (إن سمعت عن إحدى المدن التي يعطيك الله لتسكن فيها قولاً قد خرج أناس بنو لئيم من وسطك قائلين : نذهب ونبعد الله أخرى لم تعرفوها وفحصت وفتشت فإذا الأمر صحيح وأكيداً . فضررها تضرب المدينة بحد السيف وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب الله تكون تلا إلى الأبد لا تبني بعد ولا يلتصق بيده شيء من المحرم لكي يرجع الرب من هو غضبه ويعطيك رحمة)<sup>(٢)</sup> .

الحالة الثانية : المدن التي لم تسلم نفسها - كما ورد ( حين تقرب من مدينة لكي تخربها استدعها للصلح فإن أجبتكم إلى الصلح وفتحت لكم فكل الشعب الموجود فيها يكون لكم للتسلخ ويستعبد لكم وإن لم تسلمكم بل عملت معكم حرباً فحاصرها . وإذا دفعها الله إلى يدكم فاضربوا جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة جداً منك التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا) <sup>(٣)</sup> .

(١) يشوع ص ١٨/١٩ ، ص ١٠/١٦ ، ٤٣: ١٢ ، ٤٣: ١٦ .

(٢) سفر التثنية . ص ١٣/١٢ ، ١٢: ١٨ .

(٣) التثنية ٢٠/١٠ : ١٩ .

الحالة الثالثة : مدن معينة حددتها الله في التوراة . فقد ورد ( متى أنت بك الرب . اهلك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوبًا كثيرة من أمامك الحشين والجراجاشين والأمورين والكنعانيين والفرززين والحيويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك . ودفعهم الله إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرّمهم لا تقطع لهم عهدا ولا تشفع عليهم ... ولكن هكذا تفعلون بهم تهدمون مذابحهم وتكسرن أنصافهم وتقطعون سواريهم وتحرقون تماثيلهم بالنار لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك )<sup>(١)</sup> .

والتحرّم معناه القتل والافناء وليس في ذلك ما يعرض به على الدين الاهلي . فإن الله قد أراد أن يهلك أولئك الأمم بواسطة بني إسرائيل كما يقتل من يشاء بالمرض أو بغierre<sup>(٢)</sup> .

حكم المدن التي تسلم نفسها : نصت التوراة على أن الحاكم خير في أمرها بين القتل والسلب والنهب والاسترقاء والتحرّم . يوضح ذلك النصوص التالية .

١ - الاستعباد : ورد في النص ( حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح . فإن أجبتكم للصلح وفتحت لكم فكل الشعب الموجود فيها يكون لكم للتسخير ويستعبد لكم )<sup>(٣)</sup> .

٢ - قتل الرجال وحرق المدن والحقول واسترقاء النساء والأطفال وأخذ الأموال غنائم . كما ورد ( فتجندوا - أي إسرائيل - على مديان كما أمر الله وقتلوا كل ذكر وملوك مديان قتلواهم فوق قتلاهم وسيبي بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع

(١) سفر الشفاعة ١/٧ .

(٢) السنن القويّم في تفسير العهد القديم ٢/٣٨٩ .

(٣) سفر الشفاعة ٢٠/١٤ - ١٥ .

مدنهم بمساكنهم وجيع حقوقهم بالنار وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من النساء والبهائم<sup>(١)</sup> .

٣ - التمثيل حين قتل هؤلاء كما ورد في صموئيل (وأخرج داود الشعب الذي فيها وضعهم تحت مناسير ونوارج حديد وفؤس حديد وأمرهم في أتون الأجر وهكذا صنع بجميع مدن عون)<sup>(٢)</sup> .

ويمكن مراجعة حروب يشوع مع مدينة عاي ومقيدية ولبنة وخيشة وجازر وعجلون وجدعون<sup>(٣)</sup> .

٤ - جواز شق بطون الحوامل حين القتال كما ورد (فقال حزائيل لماذا يبكي سيدي فقال لأنى علمت ما ستفعليه ببني اسرائيل من الشر فإنك تطلق النار في حضونهم وتقتل شبانهم بالسيف وتحطم أطفالهم وتشق حوالتهم) (الملوك الثاني ص ٨) وجاء في هوشع (تجاري السامرة لأنها قد تمردت على إلهها بالسيف يسقطون أطفالهم والحوامل تشق) (هوشع ١٣/١٦) .

وفي سفر الملوك الثاني (وصعد منحيم بن جاري من ترصة وجاء إلى السامرة وحينئذ ضرب منحيم تفاصح وكل ما بها وتخومها من ترصة لأنهم لم يفتحوا ضرباً وشق جميع حوالتها ١٥/١٤) .

٥ - التمييز بين الشجرة المشمرة وغير المشمرة (إذا حاصرت مدينة أياماً كثيرة محارباً إياها لكي تأخذها فلا تتلف شجرها بوضع فأس عليها إنك منه تأكل فلا تقطعه . لأنه هل شجر الحقل إنسان حتى يذهب قدامك في الحصار . وأما الشجر الذي تعرف أنه ليس شجراً يؤكل منه فإياه تتلف وتقطع وتبني حصناً على المدينة التي تعمل معك حرباً حتى تسقط (سفر التشنيه

٢٠-١٩/٢

(١) سفر العدد ٣١:٨ .

(٢) صموئيل الأول ١:١٨ .

(٣) يشوع ١٠:٢٨ ، والقضاة ١:٤:٦ ، وص ٨:١٠ .

## نتائج المعركة وما يترتب عليها

إذا انتهت المعركة وتحقق النصر لبني إسرائيل . فإن تقسيم الغنائم محدد في  
أسفار عدة عندهم . ويمكن الرجوع إلى سفر العدد (٣٣: ٢٥ / ٣١) وصموئيل  
الأول (٣٠: ٢٤ / ٢٥) وسفر العدد (٣١: ٢٠ / ٣٢) وسفر التثنية (٢٠: ١٠ / ١٤)  
والعدد (٧: ٣١ / ٣٠) وصموئيل الأول (٣٤: ٣٥ / ٣٤) والعدد (٣١: ٧ / ١٢)  
ويشوع (٦: ٢٤ / ٨ ، ١١ ، ٢٧) وصموئيل الثاني (١٤: ٣٧ / ١٤) والملوك الثاني  
(٧: ١٦) وأخبار الأيام الأول (٥ / ١٨) .

حكم الأسرى في اليهودية : الحاكم اليهودي خير فيهم بين الأمور التالية  
بحسب المصلحة :

١ - قتل الجميع : الرجال والنساء والأطفال . ورد في سفر العدد (فخرج موسى  
والعاذر الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلة . فسخط  
موسى على وكلاء الجيش ورؤساء الآلوف ورؤساء المئات القادمين من جند  
الحرب وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أئشى حية . إن هؤلاء كن لبني  
إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب . . . فالآن اقتلوا كل ذكر  
من الأطفال وكل إمرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها) <sup>(١)</sup> .

أما أمصيا فتشدد واقتاد شعبه وذهب إلى وادي الملحق وضرب من بني ساعير  
عشرة آلاف وعشرة آلاف أحياه سباهيم بنو يهودا أتوا بهم إلى رأس سالع وطرحوهم  
عند رأس سالع فتكسروا أجمعون <sup>(٢)</sup> وفي سفر التثنية ورد (واما مدن هؤلاء  
الشعوب التي يعطيك الرب اهلك نصبيا فلا تستيق منها نسمة ما . بل تحررها  
تحريما الحثين والأمورين . كما أمرك الرب اهلك (التثنية ٢٠: ١٦ / ١٧) وأما  
كيفية التنفيذ فهي غاية في البشاشة . ورد في صموئيل الثاني (فجمع داود كل

(١) سفر العدد ٣١: ١٣ / ١٧ ، والتثنية ٢٠: ١٤ ، وصموئيل الأول ١٥ / ٣ وصح ٢٤ / ١٤ .

(٢) أخبار الأيام الثاني ٢٥: ١١ / ٢٥ .

الشعب وذهب إلى ربة وصار بها وأخذها وأخذ تاج ملوكهم عن رأسه . . . وأخرج الشعب الذي فيها وضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفروس حديد وأمرهم في أتون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون<sup>(١)</sup> .

**جواز المثل بالقتل** : ففي حروب يشوع في إحدى معاركه أمر أتباعه بالاشتداد في القتال حتى إذا أدرك خمسة من القواد المع狄ين (قتلوهم وعلقوهم على خمس من الخشب ويقروا معلقين على الخشب حتى المساء وكان عند غروب الشمس أن يشوع أمر فأنزلوهم عن الخشب وطروحهم في المغارة التي اختبأوا فيها)<sup>(٢)</sup> .

وقد فعل ذلك بملك عاي (وملك عاي علقه - أي يشوع - على الخشبة إلى وقت المساء وعند غروب الشمس وأمر يشوع فأنزلوا جثته عن الخشبة وطروحها عند مدخل باب المدينة)<sup>(٣)</sup> .

## ٢ - قتل الذكور البالغين دون النساء والأطفال :

ورد في سفر العدد (فتحندوا - اسرائيل - على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر وملوك مديان قتلواهم وبسبى بنوا اسرائيل نساء مديان وأطفاهم ونبوا جميع بهائهم<sup>(٤)</sup> .

**٣ - استرقاق الجميع** : وذلك في حالة من الحالات الجائزة في المدن التي تسلم نفسها صلحا (فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستبعد

(١) صموئيل الثاني ٢٩:١٢ .

(٢) يشوع صح ١٠:٢٢ .

(٣) يشوع صح ٨:٢٩ .

(٤) سفر العدد صح (٣١:٦) .

لَكُمْ<sup>(١)</sup> وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ حَالَةٍ غَدَرْ كَمَا فَعَلَ يَشُوعَ بِأَهْلِ جَبَّاعَوْنَ حِينَ خَدَعُوهُ  
وَاكْتَشَفَ الْخَدِيْعَةُ . . . قَالَ لَهُمْ يَشُوعَ فَالآنَ مَلْعُونُونَ أَنْتُمْ فَلَا يَنْقُطُعُ مِنْكُمْ  
الْعَبِيدُ وَمَخْطُوبُ الْحَطَبِ وَمَسْتَقُو الْمَاءِ لَبِيتُ الْهَيِّ . . . ) (سَفَرُ يَشُوعَ  
٢٧: ٢١ .

٤ - الفداء على مال يدفع كجزية ثابتة لا تنتهي :  
فَعِنْدَمَا اسْتَوَى إِسْرَائِيلَ عَلَى كَنْعَانَ وَعَزَّمَ أَهْلَهَا عَلَى الإِقَامَةِ فِيهَا قَبْلَ إِسْرَائِيلَ  
إِقَامَتِهِمْ مُقَابِلَ دَفْعِ الْجَزِيَّةِ (الْقَضَاءُ ١/٢٨) .  
وَكَانَ لَمَّا تَشَدَّدَ إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ وَضَعَ الْكَنْعَانِيِّينَ تَحْتَ الْجَزِيَّةِ وَلَمْ يَطْرُدْهُمْ طَرَداً  
وَإِفْرَايِيمَ لَمْ يَطْرُدْ الْكَنْعَانِيِّينَ السَاكِنِيِّينَ فِي جَازِرٍ . . فَكَانَ بَيْتُ شَمْسٍ وَبَيْتُ عَنَاهُ  
تَحْتَ الْجَزِيَّةِ لَهُمْ<sup>(٢)</sup> .

وَقَدْ أَشَارَ الشَّرَاحُ إِلَى أَنَّ الْجَزِيَّةَ هِيَ مِنْ فَعْلِ الْحَكَامِ دُونَ إِقْرَارِ الشَّرْعِ .  
وَلَذِلِكَ اسْتَحْقَقَ فَاعْلَوْهَا الْهُوانُ . وَنَزَلَ بَهُمُ الشَّقَاءُ . قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ (وَكَانَ هَذَا  
مَا نَهَى الْإِسْرَائِيلِيُّونَ عَنْهُ فَارْتَكَبُوهُ فَصَارَ عَلَّةً كُلِّ مَصَابِهِمْ)<sup>(٣)</sup> .

٥ - الاستيلاء على الأرض وتقسيمها مع طرد السكان دون قتلهم أو أسرهم  
وَرَدَ فِي سَفَرِ الْعَدْدِ (وَكَلَمُ الرَّبِّ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مَوَابِ عَلَى أَرْدَنَ أَرْيَحا)  
قَائِلاً : كَلَمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَلَ لَهُمْ إِنْكُمْ عَابِرُونَ الْأَرْدَنَ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ فَتَطَرَّدُونَ  
سَكَانُ الْأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ وَتَحْوِلُونَ جَمِيعَ تَصَاوِيرِهِمْ وَتَبِيدُونَ كُلَّ أَصْنَامِهِمْ  
الْمُسْبُوَّةُ وَتَخْرُجُونَ جَمِيعاً مِنْ رُفَعَاتِهِمْ وَغَلَّوْنَ الْأَرْضَ وَتَسْكُنُونَ فِيهَا لَأَنِّي قدْ  
أَعْطَيْتُكُمُ الْأَرْضَ لِكِي تَمْلِكُوهَا وَتَقْسِمُوهَا بِالْقَرْعَةِ حَسْبَ عَشَائِرِكُمْ . . .

(١) الشَّنِيْةُ صَحَّ ٢٠/١٠ .

(٢) سَفَرُ الْقَضَاءُ ١/٢٨ .

(٣) سَفَرُ الْخُرُوجِ ٢٣/٣١ ، وَالشَّنِيْةُ ٧/١ .

وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا في  
أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها .  
فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم <sup>(١)</sup> .

ويلاحظ أن تحرير الأرقاء في اليهودية لم يردد إلا إذا كان الرقيق يهوديا عن  
طريق سبل معينة رسمتها الشرائع عندهم . بل إنها لتجعل عتق الرقيق - يهودي  
المعتقد والدم - واجبا بعد السنة السادسة من رقة .

فهل يدرك عامة المسلمين وخاصتهم غاية القتال في اليهودية ؟ ليكون  
التعامل على أساس ما تقره شريعتهم ويحرص على تطبيقه عامتهم وخاصة البقعة  
المخصوص عليها لهم في التوراة .

---

(١) سفر العدد ٣٣:٥٠ .

### ثالثاً : مشروعية القتال في المسيحية

لم تجر عادة البشر بإيذاء الأنبياء حين الميلاد أو في فترة الصبا . ولم يحاربوا - نفسياً ومادياً - إلا بعد إعلان النبوة أو الرسالة . أما المسيح عليه السلام فقد لحقه الإيذاء في فترة مبكرة تبعاً لأمه التي أخطأت من وجهة نظرهم ، فإذا سلمنا - جدلاً - بما يقوله النصارى في الانجيل وجدنا أن الاضطهاد كان منذ الحمل بال المسيح<sup>(١)</sup> حتى هربت به أمه إلى مصر ثم عادت وهو في الثامنة من عمره وقد ظهر علمه في هذا السن بعد أن ناظر الشيخ في مجلسهم فصار محل اضطهادهم<sup>(٢)</sup> ، حتى ترك هذه الدنيا إلى حيث شاء الله ويمكن القاء الضوء على حركة الاضطهاد تلك على النحو التالي :

أولاً : اضطهاد اليهود : لقد أعلن المسيح ارتباطه بشرعية موسى وعدم نقضه لها وأكده على الوصايا العشر خاصة الأولى منها (أنا الرب أهلك لا يكن لك رب غيري)<sup>(٣)</sup> وقد ورد منسوباً إلى المسيح قوله «لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السموات والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل . فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملوكوت السموات)<sup>(٤)</sup> . إلا أن اليهود بكلفة طوائفهم قد رفضوا دعوة المسيح - إلا أفراداً معدودين - وأنكروا عليه كافة تصرفاته ولذلك فإن المسيح كان يبادلهم نفس الإنكار ويرميهم بالسفه والجور والغلو .

(١) متى صحيحة ١٨/١ الخ ، وصح ١٠:٢ ولوقا صحيحة ٣٧:٢٦ ويوحنا صحيحة ١ .

(٢) لوقا صحيحة ٤٦/٢ .

(٣) متى صحيحة ٣٦/٢٢ .

(٤) متى صحيحة ١٧/٥ .

نذكر النهاج التالية لإيضاح الصورة .

- أ - إنكار الفريسيين لتصرفات المسيح وتلاميذه : (فليما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والختة (متى ١١/٩) في ذلك الوقت ذهب يسوع في السبت بين الزروع فجاء تلاميذه وابتداوا يقطفون سنابل ويأكلون . فالفريسيون لما نظروا قالوا له هؤلا تلاميذك يفعلون ما لا يحل في السبت فعله (متى ١/١٢) ومرقس ٢/٧:٥) وعندما أبرا المسيح ملفوجا في السبت أنكروا عليه ذلك (متى ١٣/١٢) فلما خرج الفريسيون تشاوروا لكي يهلكوه فعلم يسوع وانصرف من هناك (متى ١٤/١٢) واتهموه بأن القوة التي به هي من الشيطان (متى ٢٤/١٢) .
- ب - كان المسيح يرد عليهم بشدة ويرميهم بسوء السلوك : فمن قوله : (ياؤlad الأفاغي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار (متى ١٣/١٢) ولا طلبوا منه آية سبهم ثانية (متى ١٢/٣٨:٤٢) ولقد كثرت التورية بالفرق اليهودية فيما ينسب إلى المسيح لخوفه منهم حتى قال تلاميذه (لماذا تكلمهم بأمثال . . . ١٣/١٢ . الخ) .
- ج - حرص الفريسيون على أن يقلبو الشعب على المسيح : حين سأله عن حله للطلاق في الوقت الذي حرمت فيه شريعة موسى ذلك فأجابهم ببيان علة الخل وحكمة التحرير (متى ١٩/٣:١٢ ومرقس ١٠/٢:١١) .
- د - كان المسيح يحذر تلاميذه من اتباع تعاليم الفريسيين والصدوقين والكتبة والكهنة حتى إنه وصفهم بأنهم عميان أولاد عميان وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاما في حفرة (متى ١٥/١٤ ومرقس ١٧/١ ولوقا ٦/٣٩) وكان الفريسيون يتحدونه بخرق العادة (متى ١٦/١:١٢) حيث ذكر متى (وجاء إليه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه فسألوه أن يريهم آية من السماء فأجاب وقال لهم إذا كان المساء قلتم صحو لأن السماء محمرة .

وفي الصباح اليوم شتاء لأن السماء اليوم محمرة بعبوسة . يامرأون ؟ تعرفون أن تميزوا وجه السماء . وأما علامات الأزمنة فلا تستطيعون . جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي ثم تركهم ومضى ، وقد كرر المسيح تحذيره للاميذه من اتباع أي تعاليم للفريسيين والصدوقين (كيف لا تفهمون أن ليس عن الخبر قلت لكم أن تحرزوا من خير الفريسيين والصدوقين حينئذ فهموا أنه لم يقل أن يتحرزوا من خير الخبر بل من تعليم الفريسيين والصدوقين (متى ١٦:٥ ومرقس ١٢:١١ ويوحنا ٦/٣٠) .

هـ - الواقعية بين المسيح وقيصر : لقد كانت فلسطين خاضعة لسلطان الدولة الرومانية وحاكمها قيسار وقت بعثة المسيح وكانت مقسمة إلى ولايات على كل ولاية قائد أو حاكم وثني ثم استبدل بحاكم يهودي . وفي كل الأحوال كانت الجزية مفروضة على كافة أفراد الشعب اليهودي لترفع إلى قيسار ، ولذلك حرص اليهود على الواقعية بين المسيح وقيصر ليقضي عليه كما ورد (حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصادوا بكلمة . فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيودسين قائلين يامعلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس . فقل لنا ماذا تظن . أيجوز أن تعطي جزية لقيصر أم لا ؟ فعلم يسوع خبthem وقال لماذا تجربوني يامرأون . أروني معاملة الجزية فقدموا له ديناراً فقال لهم من هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا له : لقيصر . فقال لهم أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما للله الله . فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا . . . (متى ١٢:١٥ ومرقس ١٣:١٧ ويوقا ٢٠/٢٢) .

و - تعنتهم في الأسئلة : فقد أتى الصدوقيون إلى المسيح وسألوه عن امرأة تزوجت من سبعة أشقاء فلمن تكون في القيمة (متى ٢٣:٣٣) كما

سأله أحد الفريسيين عن الوصية العظمى في الناموس<sup>(١)</sup> ولذلك فإن المسيح وصى تلاميذه أن يأخذوا بأقوال الفريسيين دون أفعالهم<sup>(٢)</sup> وقد ورد في الأنجليل بعض الاصحاحات أو بعض الآيات لِعَن الكتبة والفريسيين لسوء سلوكهم<sup>(٣)</sup>.

ز - حرص الكهنة والشيوخ على قتل المسيح : عندما ضاق اليهود ذرعا حرصوا على القضاء على المسيح . فقد ورد أنه (اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذي يدعى قيافا . وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه (متى ٢٦: ٤) وبعد القبض على المسيح - كما يزعمون - كان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه فلم يجدوا . ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا . ولكن أخيراً تقدم شاهداً زور . وقالا هذا قال إني أقدر أن أنقض الهيكل وفي ثلاثة أيام أبنيه فقام رئيس الكهنة وقال هل أما تحيب بشيء . ماذا يشهد به هذان عليك<sup>(٤)</sup> .

كما أن رؤساء الكهنة والشيوخ رفضوا العفو عن يسوع من قبل الوالي وأبوا إلا أن يقتل ورد في الإنجيل (وكان الوالي معتادا في العيد أن يطلق للجميع أسيراً واحداً من أرادوه ، وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى باراباس ، ففيها هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون أن أطلق لكم باراباس أم يسوع الذي يدعى المسيح . لأنه علم أنهم أسلموه حسداً . ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس

(١) متى ٢٢: ٣٤ ومرقس ١٨: ١٢ و Lukas ٢٥: ١٠ الخ .

(٢) متى ٢٣: ٣ .

(٣) متى ٢٣: ١ ومرقس ١٢: ٢٨ .

(٤) متى ٢٦: ٥٩ .

ويملكوا يسوع . فأجاب الوالي وقال لهم مَنْ مِنَ الاثنين تريدون أن أطلقه لكم فقالوا بارباس فقال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح قال له الجميع ليصلب . فقال الوالي أي شر عمل . فكانوا يزدادون صراحاً قائلين : ليصلب . . . وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا<sup>(١)</sup> .

ح - إنكار الفريسيين له بعد قيامته - كم يزعم النصارى - تصرح الأنجليل بقيامة المسيح من قبره بعد دفنه . وقد أبى الفريسيون قبول هذه الفكرة . فعندما أتى قوم من حراس القبر (إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان . فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين قولوا إن تلاميذه قد أتوا ليلاً وسرقوه ونحن ننام . وإذا سمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين . فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم . فشاع هذا القول عند اليهود إلى اليوم<sup>(٢)</sup> .

### ثانياً : إيداء المجتمع له ولتلاميذه :

صرحت الأنجليل ببعض صور الإيداء - من قبل المجتمع عامة - لل المسيح ولذلك فإنه كان يوصي أتباعه بالصبر على كل أذى ينزل بهم . نذكر الشواهد الآتية :

أ - موقف أقربائه منه : (ولما سمع أقرباؤه خرجوا ليمسكونه لأنهم قالوا إنه مختل ، يوحنا ٢٣/٢١) بل إن إخوته حرصوا على الواقعية بينه وبين اليهود ليتم القضاء عليه (وكان عيد اليهود بعيد المظال قريباً) فقال له إخوته انتقل من هنا واذهب إلى اليهودية لكي يرى تلاميذك أيضاً أعمالك التي تعمل . لأنه ليس أحد يعمل شيئاً في الخفاء وهو يريد أن يكون علانية . بل إن

(١) متى ٢٧/١٥ ، مرقس ١٥/٦ ، ولوقا ٢٣/١٧ ، ويوحنا ١٨/٢٩ .

(٢) متى ٢٨/١١ .

كنت تعمل هذه الأشياء فاظهر نفسك للعالم . لأن إخوته أيضا لم يكونوا  
يؤمنون به . فقال لهم يسوع إن وقتني لم يحضر بعد .. يوحنا ٢: ٧ .

ب - وصى المسيح تلاميذه بالصبر على الأذى كما ورد (إن كل العالم يبغضكم  
فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم . لو كتم من العالم لكان العالم يحب  
خاصته . ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك  
يبغضكم العالم . إن كانوا قد اضطهدوني فسياضطهدونكم . وإن كانوا قد  
حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم . لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله  
من أجل اسمى لأنهم لا يعرفون الذي أرسلني ...) . لولم أكن قد عملت  
بيتهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية وأما الآن فقد رأوني  
وأبغضوني أنا وأبي<sup>(١)</sup> .

ج - إخباره التلاميذ بالاضطهاد (قد كلمتكم بهذا لكي لا تتعثروا .  
سيخرجونكم من المجامع بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم  
خدمة لله وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الأب ولا عرفوني .. فقال  
له تلاميذه هؤذا الآن تتكلم علانية ولست تقول مثلًا واحدًا . الآن نعلم  
بأنك عالم بكل شيء ولست تحتاج أن يسألك أحد . لهذا نؤمن أنك من  
الله خرجت . أجابهم يسوع الآن تؤمنون هؤذا تأتي ساعة وقد أنت الآن  
تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوني وحدي . وأنا لست وحدي  
لأن الأب معي<sup>(٢)</sup> .

### هل شرع القتال في المسيحية أم لا ؟

وللإجابة نقول : إن الدفاع عن النفس بكل قوة ممكنة أمر فطري إلا عند  
الأذلة . كما أن الدفاع عن الدين والعرض والأهل والمال من الأمور الفطرية إذا

(١) يوحنا ١٨: ١٥ - ٢٦: ١٨

(٢) يوحنا ١: ١٦ ، ٤: ٢٩ .

يسرت أسبابه . وقد يصل الدفاع إلى حد الاجتماع له إذا كان الأذى واقعاً بالمجموعة أو بفرد له منزلته في المجموعة إذا يسرت الأسباب التي تمكن من ذلك .

ومن هذه الأسباب ما يلي :

- ١ - القوة المعنوية لدى المدافعين وهي أقوى عناصر القتال .
- ٢ - القوة المادية باعتبارها مكنته من الوسائل المستخدمة للقتال .
- ٣ - البقعة التي يقيم عليها الجيش وهي قطعة خالصة من الأرض بالفعل أو القوة .
- ٤ - التكتيك باعتباره قوة لا تقل عنها سبقها من حيث الأثر .

فإذا التمسنا بهذه العناصر من الأنجليل وجدنا ما يلي :

- أولاً : القوة المعنوية : إذا كان المسيح قد تمعن بها فإن تلاميذه قد فقدوها ، بل إنه حكم عليهم بالشك فيه وتکذبیه وخیانته<sup>(١)</sup> . نذكر بعض ما قاله المسيح في حقهم أفراداً وجماعات .
- ١ - تشكيكه في إيمان بعض الحواريين على وجه التخصيص ومنهم .
- أولاً : بطرس الذي كان :

(أ) يشك في قدرة المسيح على خرق العادة كما ورد أن تلاميذ المسيح قد ركبوا سفينه وساروا بها في عرض البحر (وفي الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشيا على البحر . فلما أبصره التلاميذ ماشيا على البحر اضطربوا قائلاً إنه خيال . ومن الخوف صرخوا فللوقت كلهم يسوع قائلاً : تشجعوا أنا هو . لا تخافوا . فأجابه بطرس وقال يا سيد إن كنت أنت هو فمرني أن أتي إليك على الماء . فقال تعالى . فنزل بطرس من السفينه ومشى على الماء ليأتي إلى يسوع . ولكن لما رأى الريح شديدة خاف . وإذا

(١) هذا ما يعرف بالتدريج مع الخصم من أجل إلزام . أما الحواريون فهم عمل تقدير وثناء في القرآن الكريم حيث أمرنا بالاقداء بهم : الصف آية ١٤ وأئنی القرآن عليهم في آل عمران ٥٢ والمائدة

ابتدأ يغرق صرخ قائلاً يارب نجني ففي الحال مد يسوع يده وأمسك به وقال له ياقلليل الايمان لماذا شكت ) . ( متى ٣: ٢٥ - ٣٣ ) .

( ب ) لعن المسيح لطرس ( من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه إنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتأمل كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينثراه قائلاً حاشاك يارب لا يكون لك هذا . فالتفت وقال لطرس اذهب عني ياشيطان أنت معاشرة لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس . . . ( متى ١٦: ٢١ - ٢٣ ) .

( ج ) حكم المسيح على بطرس بالشك فيه ( حينئذ قال لهم يسوع : كلكم تشكون في هذه الليلة . فأجاب بطرس وقال له وإن شك فيك الجميع فأنا لاأششك أبداً . قال له يسوع الحق أقول لك إنك في هذه الليلة قبل أن يصبح الديك تنكرني في ثلاثة مرات . قال له بطرس ولو اضطربت أن أموت معك لا أنكرك . هكذا قال أيضاً جميع التلاميذ ) <sup>(١)</sup> .

( د ) تكذيب بطرس له وتخليه عنه حين أخذ ليصلب ( وأما بطرس فتبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة . . . فدخل إلى داخل وجلس بين الخدام لينظر النهاية وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كلهم يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه . فلم يجدوا . ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا : ولكن أخيراً تقدم شاهداً زور . . . أما بطرس - حين الصلب - فكان جالساً خارجاً في الدار . فجاءت إليه جارية قائلة وأنت كنت مع يسوع الجليلي . فأنكر قدام الجميع قائلاً لست أدربي ما تقولين . ثم إذا خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصري . فأنكر أيضاً بقسم إني لست أعرف الرجل . وبعد قليل جاء القيام وقالوا لطرس حقاً أنت أيضاً منهم فإن لغتك تظهرك . فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف أني لا أعرف الرجل وللوقت صاح الديك <sup>(٢)</sup> .

(١) متى ٢٦: ٣٤ ، ومرقس ١٤: ٣١ ، ٢٧: ٣١ ، ولوقا ٢٢: ٥٤ ، ٦١: ٦١ ، ويوحنا ١٣: ٣٩ .

(٢) متى ٢٦: ٥٩ : ٧٥ بتصرف .

## ثانياً : يهودا الاسخريوطى

حكم يسوع عليه باللعنة والويل . والأنجيل متفقة على أنه الذي دل اليهود على المسيح مقابل ثلاثة درهما من الفضة . نذكر من شأنه :

أ - دخول الشيطان فيه (فدخل الشيطان في يهودا الذي يدعى الاسخريوطى وهو من جملة الأثنى عشر فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقاد الجناد كيف يسلمه إليهم . ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة فواعدهم . وكان يطلب فرصة ليسلمه إليهم خلواً من الجميع (لوقا ٢٢: ٣/٦) .

ب - تم بيع المسيح بالاتفاق (حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر الذي يدعى يهودا الاسخريوطى إلى رؤساء الكهنة . وقال ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم . فجعلوا له ثلاثة من الفضة . ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة أخرى ليسلمه (متى ٢٦: ١٤) .

ج - عُلم المسيح بتدبيرة (ولم كان المساء جاء مع الاثنى عشر . وفيما هم متكتئون يأكلون قال يسوع الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمني للأكل معي . فابتدوا بحزنون ويقولون له واحداً فواحداً هل أنا وأخر هل أنا . فأجاب وقال لهم : هو واحد من الاثنى عشر الذي يغمس معي في الصحفة .. ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان . كان حيراً لذلك الرجل ولم يولد<sup>(١)</sup> .

د - تسليم يهودا له (وفيما هو يتكلم إذا يهودا واحد من الاثنى عشر قد جاء ومعه جمٌّ كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيخ الشعب والذي أسلمه أعطاهم علامه قائلاً : الذي أقبله هو هو أمسكوه . فللحوق تقدم إلى يسوع وقال السلام ياسيدِي وقبله فقال له يسوع يا صاحب لماذا جئت . حينئذ تقدموا وألقوا الأيدي على يسوع وأمسكوه .. حينئذ تركه التلاميذ

(١) مرقس ١٤: ٢١.

كلهم وهربوا<sup>(١)</sup>.

٢ - الجانب المعنوي عند الحواريين كما يصوره الإنجيل :

ورد ثناء المسيح على التلاميذ في بعض المواطن<sup>(٢)</sup> ولكن السلوك كان محل ذم في كثير من الأحيان . بل إن القوة المعنوية لدى أتباعه لم تتوفر في الوقت الذي كانت الأمور تتطلب فيه ذلك . وما ورد في حقهم :

أ - وصفهم بالنفاق . ورد في متى (تقدمن إلية رجل جاثيا له . وقائلاً ياسيد ارحم ابني فإنه يصرع ويتألم شديداً ويقع كثيراً في النار وكثيراً في الماء وأحضرته إلى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه . فأجاب يسوع وقال إليها الجليل غير المؤمن الملتوى إلى متى أكون معكم إلى متى احتملكم قدموهيإليها هنا . فانتهروه يسوع فخرج منه الشيطان فشفى الغلام من تلك الساعة ثم تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد . وقالوا لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه . فقال لهم يسوع لعدم إيمانكم . فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم<sup>(٣)</sup> .

ب - ارتتداد بعض التلاميذ عنه . في بينما كان المسيح يبين آداب الاتباع لرسالته وما ينبغي الإيمان به (من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه ...) فقال يسوع للاثني عشر أعلاكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا . فأجابه سمعان بطرس يارب إلى من نذهب . كلام الحياة الأبدية عنده . ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي . أجابهم يسوع أليس أني اختركم الاثني عشر واحد منكم

(١) متى ٤٧/٢٦ ، وانظر مرقس ١٤:٤٧ ، ٤٣:٤٧ ، ويوحنا ٩:١/١٨ .

(٢) متى ٥/١٣ ، ومرقس ٩:٥ ، ولوقا ١٤/٣٤ ، ويوحنا ١٥:١٤ .

(٣) متى ١٧:١٤ .

شيطان . قال عن يهودا سمعان الاسخريوطى لأن هذا كان مزماً أن  
يسلمه <sup>(١)</sup> .

ج - تخلى تلاميذ المسيح عنه في وقت الشدة . فقد صرحت الأنجليل أنه حين  
القبض على المسيح (حيينـت تركه التلاميذ كلهم وهربوا) <sup>(٢)</sup> .

د - شك التلاميذ فيه بعد قيامته - إذا سلمنا جدلاً بصلبه ودفنه - كما ورد في  
متى (١٦/٢٨) ورد في النص (وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين  
منهم وهم يمشيان منطلقين إلى البرية . وذهب هذان وأخبر الباقين فلم  
يصدقوا ولا هذين . أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكتئون ووبح عدم إيمانهم  
وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام (مرقس ١٢/١٦  
ولوقا ١٣/٢٤ .. ويوحنا ١٩/٢٠) .

### ثانياً القوة المادية :

إذا كانت القوة المعنوية لم تتوفر عند أتباع المسيح حتى في المواطن التي تتطلب  
الدفاع . فإن القوة المادية كانت أسوأ حالاً منها . لأن التملك والغنى حرام في  
المسيحية والزهد وحرمة التملك من موجبات الجنة . نقرأ في ذلك النصوص  
التالية .

أ - (لا تقدروا أن تخدموا الله والمال لذا أقول لكم لا تهتموا بحياتكم بما تأكلون  
وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون) متى ٦/٢٤ : ٢٥ وانظر لوقا  
١٢/٢٢ ، ٢٣ .

ب - (لا تكتنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث  
ينقب السارقون ويسرقون بل اكتنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد

(١) يوحنا ٦/٦٦ : ٧١ .

(٤) مرقس ١٤/٤٣ : ٤٧ ومتى ٢٦/٤٧ : ٥٦ ، ويوحنا ١/١٨ : ٩ .

سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون لأنه حيث يكون  
كنزك هناك يكون قلبك أيضاً<sup>(١)</sup>.

ج - لا تقتتوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم . ولا مزوداً للطريق ولا  
ثوابين ولا أحذية ولا عصا لأن الفاعل مستحق لطعامه<sup>(٢)</sup> .

د - (إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبعْ أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك  
كنز في السماء وتعال واتبعني .. فقال يسوع لتلاميذه الحق أقول لكم إنه  
يعسر أن يدخل غني إلى ملکوت السماء . وأقول لكم أيضاً إن مرور جمل  
من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملکوت الله)<sup>(٣)</sup> .

ه - (ودعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم قوة سلطاناً على جميع الشياطين  
وشفاء أمراض وأرسلهم ليكرزوا بملکوت الله ويشفوا المرضى .. وقال  
لهم لا تحملوا شيئاً للطريق لا عصا ولا مزوداً ولا خبزاً ولا فضة ولا يكون  
للواحد ثوابان) لوقا ٩:٥ ، ١٠:١٢ . وكان العدد سبعين في  
هذا النص وبهذا نرى أن القوة المادية لم تكن متاحة لدى أتباع المسيح بأي  
حال من الأحوال . بل إن كراهية الغني تصل إلى حد التحرير .

### ثالثاً : البقعة التي يقيم عليها المقاتلون (حقيقة أو حكماً)

لم تخلص للمسيح بقعة من الأرض على وجه الاطلاق ، بل إن الأنجليل  
وكتب التاريخ المسيحي لتصور حياة المسيح منذ الميلاد حتى لاقى ربه تصوير  
المشرد المضطهد المتعقب . حتى إنه سئل من أحد المحبين أن يأذن له باتباعه في  
الإقامة (فقال له المسيح للشغال أو جرة ولطيور السماء أو كار وأما ابن الإنسان  
فليس له أن يسند رأسه) لوقا ٩:٥٧ ، ٩:٥٨ وانظر متى ٨:١٩ .

(١) متى ٦:١٩ ، ولوقا ٢١:٣٢ ، ٢٢:٣٢ ، وصح ١٨:٢٢ .

(٢) نقل عن متى ٩:١٠ ، ٩:١٠ ، ومرقس ٦:٧ ، ٧:١١ ، ولوقا ٢٢:٣٥ .

(٣) نقل عن متى ١٩:٢١ ، ٢١:٢٦ ، ولوقا ١٨:٢٣ ، ٢٣:٢٧ .

#### رابعاً : التكتيك :

وهو من الأمور التي لا تتأتى إلا في حال وجود العوامل الثلاثة السابقة .  
فإذا تعذر تلك الأسباب ما كان للتخطيطفائدة تذكر .

#### موقف المسيحية من القتال

ومع أن العوامل السابقة لا تساعد على فرض مشروعية القتال . وإنما كان تكليفاً فوق الطاقة . والشائع تقوم على اليسر ورفع الحرج . إلا أن علماء المسيحية في مشروعية القتال رأيان هما :

الرأي الأول : أن القتال لم يشرع : واستشهد هؤلاء بالنصوص التالية :

١ - (سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم . لا تقاوموا الشر . بل من لطمرك على خدك الأيمن فول له الآخر أيضاً . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك الرداء أيضاً . ومن سخرك ميلاً فاذهب معه اثنين) <sup>(١)</sup> . ويمكن الرجوع في شرح هذا النص إلى كتاب (المسيحية والمجتمع في ضوء تعاليم العهد الجديد ٢٣-٢٦) وكتاب (الكتز الجليل في تفسير الإنجيل ١:٧٤ / ٧٦) .

٢ - طبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض .. طبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون . طبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملوكوت السموات .

طبى لكم إذا عيروكم وطردوكم . وقالوا عليكم كل كلمة شريرة <sup>(٢)</sup> .

٣ - إنكار المسيح على أحد التلاميذ استخدام السيف حين أخذ ليصلب فأمره بعمده <sup>(٣)</sup> . (وإذا واحد من الذين مع يسوع مدحده واستل سيفه وضرب

(١) نقل عن متى ٥:٣٨ / ٤٣ .

(٢) نقل عن متى ٥:٥ / ١٢ . وراجع تفسير النص في الكتز الجليل ١/٥٥ : ٧٧ .

(٣) نقل عن متى ٢٦:٥٢ .

عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه . فقال له يسوع رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون . أتظن أبي لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشا من الملائكة<sup>(١)</sup> .

**الرأي الثاني : القتال شرع :** واستشهد هؤلاء على مشروعيته في المسيحية بالنصوص التالية :

- ١ - (لا تظنو أنني جئت لألقي سلاما على الأرض ما جئت لألقي سلاما بل سيفا . فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنته ضد حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته . . من أحب أبي أو أما أكثر مني فلا يستحقني ومن لا يأخذ صليبيه ولا يتبعني فلا يستحقني . . .)<sup>(٢)</sup> .
- ٢ - ورد في لوقا (أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا وأذبحوهم قدامي)<sup>(٣)</sup> .
- ٣ - ورد في لوقا (جئت لألقي نارا على الأرض . فما زلت لو اضطررت ولني صبغة أصطبغها وكيف أختصر حتى تكمل أتظنو أنني جئت لأعطي سلاما على الأرض . فما زلت لو اضطررت ولني صبغة أصطبغها وكيف أختصر حتى تكمل أتظنو أنني جئت لأعطي سلاما على الأرض كلا أقول لكم بل انقساماً . .)<sup>(٤)</sup> .

والنار يراد بها الحروب والمقاومات في الكتاب المقدس (مزמור ١٢/٢٦) وأشعيا (٤٣/٢) وبطرس الأول ١٢/٤ .

٤ - وردت إشارات عده إلى وقوع حروب مهلكة (متى ٢٤/١٩) ومن الحروب المطلقة ما ورد في (متى ٢٤/٦) و (مرقس ١/١٣ ، ص ٤/١٩)

(١) متى ٥١/٢٦ .

(٢) متى ٣٨:٣٤/١٠ .

(٣) لوقا ١٩/٢٧ .

(٤) لوقا ٤٩:١٢ .

(أفسس ٥/٦) .

وحيث أن المسيح لم يقاتل تعذر علينا معرفة الآداب ونتائج القتال . وقد أول أصحاب الرأي الأول النصوص السابقة قائلين : إن السيف في النصوص سيف الحق في مقابل الباطل<sup>(١)</sup> .

خاتمة مشروعية القتال في المسيحية والرد على شبهتهم (الإسلام دين السيف والمسيحية دين السلام) إن تشريع القتال في الإسلام بآداب محددة لا يتأنى أن يكون شبهة على التشريع الإسلامي للأسباب الآتية :

١ - إن الفترة الزمنية للدعوتين غير متساوية فمدة دعوة المسيحية ثلاثة سنوات . بينما مدة دعوة محمد ﷺ قبل القتال أربع عشرة سنة .

٢ - إن المسيح في هذه الفترة أعلن عن طبيعة دعوته (ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً) قوله (وأما أعدائي الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتواهم إلى هنا وأذبحوهم قدامي) بينما قال محمد ﷺ في السنة الثالثة عشر منبعثة لأتباعه «اصبروا فإني لم أومر بقتال» (ابن هشام ٢/٩٠) .

٣ - أن الأسباب الميسرة للقتال في المسيحية لم تتح للمسيح فلا أرض يحارب من فوقها ولا قوة مادية ولا معنوية كما سبق .

٤ - سؤال آخر . ما هو موقف المسيحية إذا اعتقدى على الدولة من الآخرين وما موقفها من الدفاع عن الدين والنفس والعرض والمال والأهل ؟ وهل نقضت المسيحية مشرعية القتال في اليهودية أم أنها ملتزمة بها بحكم النص في الانجيل على ذلك . كما أن النسخ عندهم غير جائز<sup>(٢)</sup> .

---

(١) الكتز الجليل ٢/٢٦٥ .

(٢) متى ٥/١٧ .

## أهم نتائج البحث

- ١ - الإيذاء وصف لازم لكل من سار على طريق الدعوة إلى الله وقد صرخ بذلك القرآن الكريم والكتاب المقدس وكتب التاريخ والسير بالنسبة لـ **لهم سُبْهَنَ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**.
- ٢ - غاية القتال في الإسلام السلام إذا ما روعيت قيوده وأدابه بينما غايتها في اليهودية تحقيق الإستيلاء على البقعة الموعود بها في التوراة.
- ٣ - دعوى أن **محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخطأ** حين ذكر في القرآن أن القتال مشروع في النصرانية (آية التوبة ١١١) باطلة بنصوص الانجيل التي نصت على مشروعية القتال.
- ٤ - لم يرد الاذن بالقتال إلا بعد أن يسرت أسبابه حتى لا يكون تكليفا فوق الطاقة كما أن الأصل في الرسالات السماوية وغايتها السلام.
- ٥ - وضع الإسلام قيوداً وأداباً يجب الالتزام بها شرعاً حين المعركة بينما لم يرد ذلك في غيره من الشرائع - بحسب النص الموجود عندهم الآن - الأخرى.
- ٦ - المقارنة بين القتال في الإسلام والسلام في المسيحية على غير وجهها لتفاوت الفترة الزمنية بين عيسى عليه السلام - والذي دعا لثلاث سنوات - وبين **محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الذي بقي لمدة خمسة عشر عاماً لم يستخدم السيف أو يؤذن له بقتال .
- ٧ - حرص الإسلام على عتق الأسرى بسبيل متعددة دون ورود ذلك في اليهودية .
- ٨ - كان الإسلام متفقاً مع الفطرة ومراعاة المصلحة العامة في تشريع القتال بآداب وضعها . وإنما يفعل منكريوا تشريع القتال إذا ما دهمت ديارهم وهتك أعراضهم .. هل يقاتلون فيكون العود إلى القتال أم يساملون

المعدين فتكون الذلة والمهانة ، وهل تقبل النفس شريعة تفرض عليها  
الذلة والمهانة ؟

- ٩ - لا تخرج نصوص السلم في المسيحية عن كونها نصوص عفو ورحمة دون إلزام  
وهو أمر تحدث عليه جميع الرسالات . وأما تأويل نصوص القتال عندهم  
ففيه ضرب من التكليف .
- ١٠ - ينبغي دراسة الكتاب المقدس لمعرفة طبيعة اليهود وميولهم واتجاهاتهم تجاه  
غيرهم وكيف يتأتى التعامل معهم في ضوء تلك المعرفة .
- ١١ - يؤمن المسلمون بوجوب تبليغ الدعوة إلى كافة أرجاء الأرض ولا يعتقد  
الواعون منهم أن جميع الناس سيدينون بالإسلام . ولذلك كان قتالهم في  
ضوء هذا الفهم بينما يؤمن اليهود بأن بقعة محددة لهم بالنص ينبغي القتال  
من أجلها حتى يتأتى القيام بهذا التكليف الشرعي فهل نوضح ذلك  
لجميع المسلمين لتعامل معهم على هذا الأساس ؟ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا  
لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعُ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾<sup>(١)</sup> والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة ق من الآية ٣٦ .

## أهم المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - كتاب المقدس . دار الكتاب المقدس . مصر سنة ١٩٨٣ ( الطبعة المهرسة ) .
- ٣ - أحمد بن حجر العسقلاني . فتح الباري . دار المعرفة ، لبنان . مراجعة بن باز وآخرين .
- ٤ - أحمد بن حنبل ( الإمام ) مسنده لأحمد . دار صادر ، بيروت . ط مركز الكتب الثقافية .
- ٥ - ابن الأثير . الكامل في التاريخ . دار صادر ، بيروت . ط ١٩٧٩ م .
- ٦ - ابن الدبيع الشيباني . حدائق الأنوار ومطالع الأسرار . إدارة إحياء التراث الإسلامي . قطر ١٩٨٢ م .
- ٧ - ابن القيم الجوزية . زاد المعاد في خير هدي العباد . مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧٩ م . تحقيق شعيب الأرنثوطي .
- ٨ - ابن كثير .  
تفسير القرآن لابن كثير . دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٩٦٩ .  
السيرة النبوية تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار الفكر ، بيروت ط ١٩٧٨ م
- ٩ - ابن هشام الأنصاري  
السيرة النبوية - تحقيق مصطفى السقا ط ٣ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ١٩٧١ م
- ١٠ - أبو داود - سنن أبي داود ومعه معالم السنن للخطابي . دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ سنة ١٩٧١ م .
- ١١ - البيهقي . سنن البيهقي - دار الفكر ، بيروت . بدون تاريخ طبع .
- ١٢ - الترمذى - سنن الترمذى - دار الفكر للطباعة والنشر . بيروت ط ٢ سنة ١٩٨٣ م .

- ١٣ - جورج بوست . فهرس الكتاب المقدس . مكتبة المشعل . بيروت ط ٥  
سنة ١٩٨١ م .
- ١٤ - زكي شنوده - المجتمع اليهودي - الخانجي ، مصر ١٩٨٠ م .
- ١٥ - السهيلي - الروض الأنف . دار المعرفة ، بيروت . تحقيق طه عبد الرؤوف سنة ١٩٧٨ م .
- ١٦ - صديق حسن علي . عون الباري حل أدلية صحيح البخاري . دار إحياء التراث الإسلامي . قطر ١٩٨١ م .
- ١٧ - عبد المجيد الشرفي - الفكر الإسلامي في الرد على النصارى - الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٦ م .
- ١٨ - محمد أبو زهرة . خاتم النبيين . دار الفكر العربي . القاهرة ١٩٧٩ م .
- ١٩ - محمد ابن أحمد الأنصاري (القرطبي) الجامع لأحكام القرآن . دار إحياء التراث العربي . بيروت سنة ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ م .
- ٢٠ - محمد الصادق عرجون . الموسوعة في ساحة الإسلام طبع ونشر مؤسسة سجل العرب . مصر ١٩٧٢ م .
- ٢١ - محمد نبهان الخياز . الاصطفاف في سيرة المصطفى - دار إحياء التراث الإسلامي . قطر ط ١ سنة ١٩٨٦ م .
- ٢٢ - مسلم بن الحاج . صحيح مسلم بشرح النووي ط المطبعة المصرية ومكتبتها . مصر ، بدون تاريخ طبع .
- ٢٣ - منصور علي ناصف . الناجي الجامع للأصول في أحاديث الرسول . ط دار إحياء الكتب العربية . مصر ، ط ٢ .
- ٢٤ - الواقدي . المغازي للواقدي تحقيق د. مارسلن جونس ، نشر عالم الكتب . بيروت ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ م .
- ٢٥ - وليم إدي . الكنتز الجليل في تفسير الإنجيل - صدر عن مجمع الكنائس

- في الشرق الأدنى ، بيروت سنة ١٩٧٣ م .  
السنن القويم في تفسير العهد القديم . صدر عن مجمع الكنائس في  
الشرق الأدنى . بيروت سنة ١٩٧٣ .
- ٢٦ - وهب الزحيلي (دكتور) الفقه الإسلامي وأدلته - دار الفكر - دمشق ط١  
سنة ١٩٨٤ م .
- ٢٧ - يوسف القرضاوي (دكتور) فقه الزكاة - مكتبة وهب - القاهرة ط١٦ سنة  
١٩٨٦ .